مخطوطات العاشق الأول

مراد ماهر

رسائل

تويا
دار تويا للنشر والتوزيع

إِهْدَاءٌ

إلى العاشقِ الأولِ.....

إلى العاشقةِ الأولى.

إلى العاشقِ الأخيرِ.....

إلى العاشقةِ الأخيرةِ.

أنتم أركانُ هذا الكونِ.
أرى أياديَكم واصلةً بين الأرضِ والسماءِ، تصنعُ الفارقَ، وتُؤجِّلُ الفناءَ.
إليكُم أُهديكم تأريخًا لنضالِكُم.

.....

"وما دامَ الفناءُ قادمًا لا محالة..... فليكنْ عشقًا.... أو لنصمتْ".

الرِّسَالة 1

هي..
جزءٌ أصيلٌ من حروفِ أبجديتي، حرفٌ يُزاحم ما تعلمتُه من حروفٍ ليبقى هناك بعيدًا عن بروتوكولاتِ الصياغةِ والتشكلِ والانغماسِ في قارورةِ المعاني، لكنني دائمًا أنتظرُ يومًا لا بد له من المجيءِ أقوى فيه على ابتكارِ أبجديةٍ جديدةٍ تحملُ من البَراحِ ما يسعُها ويفيضُ.

السَّلامُ على البدايةِ البِكرِ التي لا بداية قبلها ولا نهايةٍ بعدها. السَّلامُ على مَن اكتشف الحُبَّ فور اختراعِ الحياةِ، واقتفى أثرَه وتتبَّع عبقريته. السَّلام على كل مَن تكاتف وتعاونَ في معملِ القلوبِ الأول لتختمرَ السبيكةُ لأول عشقٍ، (العين/ الأذن/ اللسان/ الأنف/ الطبيعة المُفتخِرة بغموضِها أمام جهلِ المُحتل الجديد/ السماوات التي اصطفت واحدةً بجوارِ أخرى، مِنٍ وراء أخرى، كجمهورِ مسرحٍ إغريقي مهيبٍ، ليشهدوا لحظة انتقال البشريةِ الوليدةِ من الحيوانية المُفكرةِ إلى الإنسانيةِ المُكرَّمةِ بالحُب.

السَّلامُ على العاشقِ الأول، والمعشوقةِ الأولى، وعلى صراعِ العشقِ الأول، ذلك الذي دام وتطوَّر واستطال لآلاف السنين.

السَّلامُ على الإنسانيةِ التي أمسكتْ بتلابيبِ العشقِ كل هذه الحِقبِ ليتطورَ معها وتختلفَ هيئتُه باختلافِ وتطوُّر أو تدهور فكر البشر.

وإني يا حوَّاء قلبي أتفكرُ الآن، كيف كان العشقُ من منبتهِ، وكيف كانت أول خفقةِ قلبٍ، وكيف يكونُ الحب حُبًّا مع انعدامِ فعلِ الانتقاء أو الاختيارِ من مُتعددٍ.

هل يكتملُ نِصابُ الحبِّ مع فعلِ الاضطرارِ والحتميةِ؟ هل ينضج عشقًا لا يخشى أطرافه احتمالَ الفقدِ أو تحوُّلِ قلبِ المحبوب إلى غيره؟ وأين كانت الغَيْرة؟ وأين كانت الرسائلُ المُنمقة؟ والإشاراتُ المُوحية؟ ولغةُ العيون؟ وهمسُ دقاتِ القلوب؟

ربما كل هذا وذاك تطوُّرٌ طبيعي لتطوُّر التعمق البشري في تفاصيلِ الجسدِ والطبيعةِ والفلسفةِ.

أُدركُ يا حَوَّائِي بأن الكلماتِ ليست منطقيةً، وربما ليست تصطفُّ في ثباتٍ وتسلسلٍ عقلاني مُقنعٍ، لكن دعيني أتنكرُ في زيِّ الآدم الأول، وأقتنعُ أولًا ثم أُقنعكِ بأني الرجلُ البشري الأول، ربما ساعتها تقتنعين بأنكِ لي الأنثى الأولى، والطبيعة الأولى.

دعيني أكتبُ أول رسالةٍ في تاريخِ البشر، من أول بشري في تاريخهم، لأول بشريةٍ في تاريخهن.

أبدؤها بالتعجب، أمزجها بالترقب، وأُنهيها بالانغماس التام في مستقبل العشقِ وتاريخه المُعتق.

.....

مِن الآدمي الآدم إلى حَوَّاء الحوَّاء.....

وإني هبطتُ على هذا الكوكبِ وحيدًا، وطُفت بنظري الوليدِ أرجاءَ الدنيا، وعرفتُ لتوي كم كان العقابُ قاسيًا، وكم أن الأرضَ تأكل التاريخَ ولا تصنعُ المستقبل.

بكيتُ كثيرًا، وندبتُ حظي كثيرًا كثيرًا، وتعملقتِ الخطيئةُ أمامي، حتى ناجيتُ الرب بأن يُخفف عني العذابَ بالموت، ويُذهب عني الغضبَ حتى ولو كان العفو محفوفًا بالسخط.

وارتأيتُ الظُّلمة تنقشعُ شيئًا فشيئًا، وقرصًا أصفر اللون يُضيء الكون بضياءٍ شبيهٍ بضياء الجنةِ، وروحًا تمشي على أربعٍ تقتربُ مني بصوتٍ كالأنين الذي لتوِّي أصدرته حين الندم.

وشعرتُ بأحشائي لأول مرةٍ تبكي من حاجتها واحتياجها، وشعرتُ بالوحشةِ تجاه العطفِ الإلهي الأعظم، وحميمية النقاء في رحاب النعيم والأبدية.

وإني تذكرتكِ حينها، كيف تجرؤين على الإيحاء لي بمعصيةِ الكبير الأعظم؟ كيف لم تمنعيني إذ انصعتُ لرأيكِ اللاسديد؟ كيف تهربين من العقاب وأبقى ها هنا وحيدًا؟

أما زلتِ هناك مُنعَّمة؟ هل سامحكِ الرب؟ هل تتذكريني أو تذكريني هناك؟ وهل تتضرعين لعودتي؟

غاضبٌ أنا منك، وأشتاقُ إليكِ، أكرهك قدر كراهيتي لمحل العقاب الإلهي.

أفكارٌ تتداخلُ وتتعاقبُ وتتعانقُ وتتعارضُ، مشاعرٌ تتوافقُ وتتشاجرُ في الثانية مائة مرة، أحتاجك ورغم كل ما حدث لا أريد لكِ نفس العاقبة من العقاب.

وتعلمتُ من غير إدراكٍ أن الاشتراك في الذنب يقتضي تعميم العقوبة؛ لذا فإما أن تأتيني، وإما أن أصعد إليكِ.

وإني وجدتكِ.... تعلمتُ أول ما تعلمتُ كيف يكون السعي لأجل البحثِ، فقط لألقاكِ، أو يهديني ربي لشعاعٍ نوراني مُقدَّسٍ ألمسه ليجذبني حيث تمكثين.

وإني وجدتكِ، على قمة جبلٍ في عناقٍ دائمٍ مع السماء، تفعلين ما سبقتكِ إليه من تضرعٍ للرب لأجل الصفحِ؛ الفرحة للقائكِ تغلبت تمامًا على حُزني للهبوط على أرض العقاب، لكنكِ لم تنتبهي لوجودي، ولم تذكريَ أو تتذكري ما حدث من مخالفةٍ لأمر الرب، ووجدتكِ كذلك غير مُقتنعةٍ بأن نصيحتك هي التي ألقت بنا في غيابات البؤس.

ورغم كل شيء، اقتربتُ منكِ، وجدتكِ أضعف بكثيرٍ ها هنا على سطح الأرض، ووجدتني من دون عمدٍ أجذبكِ لأريحكِ بين أضلعي، كانت تلكِ المرة الأولى التي أحتضنك، وكان العناقَ الأول، شعرتُ ساعتها بشعورٍ لم آلفه في الأعلى، كنتِ دافئة، وهدأ صدري وتخلى عن رجفتهِ عندما لامستْ شفتاكِ طرفًا من أطرافِ فمي..... وكانت القُبلة الأولى.

معًا.... اكتشفنا فعل الحب، اكتشفنا فعل البدء في تقبل الحياة، فكرة تقبل المصير، والتعايش مع المُعطيات الربوبية حتى ولو لم تكن على مستوى التطلع والدعاء.

معًا.... تخطينا فكرةَ الندمِ على الهبوط، والحسرةَ على الفقدِ، والخوفَ من المجهولِ القادمِ.

معًا.... اقترفنا الخطيئةَ الثانية في تاريخنا، والأولى على أرضِنا بأن تناسينا الدعاء والتوسل للرب مُتمسكين بحق العودة، فانخرطنا في اكتشافِ التفاصيلِ، والتعايش مع مُستجداتِ الرؤيةِ والشعور.

لعل الفضيلةَ الأولى التي تشاركنا في إعمالها تمثلت في تشبثنا بالقربِ والاقترابِ، بالتلاحم مع ذواتنا، الانصياع لصوتِ قلبيْنا، ابتكار مُفردات الحب الأولى، وترجمة معاني الرغبة في القرب لأجل الأمان.

كنتِ لي أملًا في مواصلة الاكتشاف والتكيف، كنتِ لي أمانًا من وحش الوحدة المُبئِس البائس، تجسدْتِ لي نورًا حين يقرر الرب وقتيًا إخفاء القرص الأصفر الساطع بالنور.

أنتِ الدفء الأول، الفرحة الأولى، الخطيئة الأولى، الهدية الأولى، النعيم الأول، العقاب الأول، الخفقان الأول، وعاء الخلود الأول، الأمان الأول، مهبط القلب الأول، والاحتيال الأول على الحزن والوحدة والانقراض.

وحينما رأيتُ وليدنا الأول، تغلبتُ سريعًا على الدهشة من إخراج مسخٍ بشري ضعيفٍ خائفٍ من أحشائك، لم أكن أعلم أنه سينمو ويتعلق ليضاهينا طولًا وقلبًا وشعورًا، لكني ساعتها تذكرتُ الرب سريعًا، تضرعتُ له مائة ليلة، أسأله وأدعوه، ألا يُدرج الوليد في بند الخطيئة الأولى، أن يرفعه إلى حيث المقام المُنعَّم الأول، أن يهبهُ حوَّاء كحوائي، وأن يضع بين ثنايا ضلوعه قلبًا عاشقًا للحب وللحياة.

وعندما قرر الرب إبقاء نسلنا جوارنا، أيقنت حينها أنها نهاية العلاقة بالفوقيات، ونهاية التشبث بحلم

العودة للنعيم، وبداية التأريخ الحقيقي لحياةٍ تتكاثرُ لتَهب الكونَ كتابًا يكتظ بتاريخٍ كاذبٍ متشابكٍ.

موقنٌ أنكِ لا تزالين تتذكرين كيف فشلنا في تعليم الحب الصحيح لصغارنا، وكيف اقترفنا الإثم الأكبر بأن أغفلنا تلقينهم أن الحب لا يجتمع مع الكراهية، وأن الحب لا ينسجم بأي حالٍ مع فعل الامتلاك الأعمى.

هل كنا وقتها قد اكتشفنا دليلنا إلى الرُّقي واحترام الآخر؟

هل تقاعسنا كثيرًا، وتأخرنا كثيرًا في ترجمة العديد من الثوابت وتركنا مُهمة التنقيب عنها واستنتاجها لنسلنا بالتجريب والخطأ الذي قد يعقبه الصواب؟

هوِّني عليكِ يا أم الحب، لا تدمعي، يكفينا أنَّا اكتشفنا الحب وأورثناه لألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف...... ألف عاشق.

يكفينا أنَّا حولنا العقاب إلى لذةٍ في اكتشافِ الغموض، والحزن إلى محطة انطلاقٍ نحو الفرحة، ومن اليأس أطروحة عملية لاسترداد آيات الأمل.

يكفينا أنَّا أقنعنا الكون بدين الحب ومنحنا الخلود للعشق في قلوب العاشقين.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث/ للحياة بقية.. ما دامت للقلب هوية.

 # كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 2

هي..... حبةُ مطرٍ ذهبيةٌ، تسقطُ في منتصف نهار صيفٍ شديدِ الجفافِ، تنتخبني من بين كل رؤوس الخلقِ فتسقط فوقَ قلبي تمامًا.

السلامُ على الخيالِ حينما يغارُ من الواقع فيُقرر أن يُغير عليه إلى أن يقع في غرامه ليلدَ لنا هجينًا من

حُلمٍ أكثر خصوبة وتشويقا أصيلا نبيلا.... من الواقع منفردًا، ومن الخيال منفردًا.

السلام على العشقِ الدافع تجاه التفرد، وعلى الفراق الدافع ناحية الحزن المُمتع، وعلى أمل العناق المُتجدد يمنح العاشقين موهبة الصبر الطويل.

السلام على الدموع الأولى في لحظةِ الفقد الأول، ولحظة الاشتياق الأولى تلك التي جسَّدت للإنسانية حُزن السماء وقتما حان الحين ليمتهن القتل التعبير الأصدق عن الحب، فانهمرت عيونُ السماء بالمطر.

وإني يا صديقة دمعي مللتُ الصبر على الفراق، وأعلنتُ الحرب على الهجر، وأطلقتُ حكمًا تاريخيًّا بإعدام انعدام الأمل.

قررتُ أن أبحث عنك في كينونة الأشياء، كل الأشياء، أن أصنع من القبح جمالًا بتخيلك على ضفافه، أن تتحولي إلى تاريخٍ بأكمله، وإلى واقعٍ بأكمله، وإلى مستقبلٍ بأكمله.

ما بين اللقاء واللقاء بحرٌ يموجُ بالترقب والحلم، وما بين الممكن ونقيضه، أسطولٌ من الملائكة يعتلي الموج حينًا... يرسمُ لوحةً للنور، ويغوص في القاع حينًا... ينتقي من خبايا الروح شِعابًا تُشبه الورود في ملمحها والشوك في ملمسها.

قررتُ منذ زمنٍ لم أعد أحسب تقويمه أن أكفر بالحب دون إهانته أو التقليل من قدسيته، ولأن الناس لا ينبذون المُلحدين بالعشق فقد صرتُ بينهم قديسًا فيلسوفًا عميق النظرة والحرف، أصافح الآلاف وأعانقُ المئات وأصادقُ العشرات وأقترب من الآحاد متخذًا من شعاب الشوك المُزينة بالشوك شعارًا لراياتي.

كيف لي أن أرفضَ هدايا الملائكة على كل حالٍ.

لكني ابتعتُ حين لقائك الأول قليلًا من الإيمان لأهادن الحب مرةً أخرى علّه يمنحني دربًا من دروبِ التوبة.

أنا الذي رفضتُ منذ البدءِ ذاتية الحرف وشخصنة الإبداع لأهبه لهموم الناس ووجع الوطن، أجدني مدفوعًا لأن أختلق مدينةً للعشق على الورق أبتني على أرضها ما لا يصح بناؤه على أرض الناس، وأغرس في قاع بحارها بذورًا للورد الناعم المُنزه عن الأشواك.

ربما هي الجنة، وربما هي النار، ليس التوصيف مُهمًّا هنا ففي رأيي لا فرق بينهما في مدينتي الجديدة.

ربما أشعرُ فيها بالوحدة، وربما أصطدمُ بين الحين والآخر بخيالية التكوين وعدمية الواقع، لكني أرتضي.

قريبًا سأكتبُ عن الحزن اللامع في عينيكِ .

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية ... ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 3

السلامُ على الواقع الواهم الموهوم، على الافتراض الخادع، على رغبة المُنكسرين في افتعال الأسباب التي تُواجه المِحَن.

السلامُ على فضاءات التواصل غير المرئية، تربط بين أوهامِ الناس لتصنع لهم أرضًا جديدةً، سماؤها الأُمنيات الضائعات.

السلامُ على صورتكِ التي رأيتها يومًا تُزين باب منزلكِ الافتراضي الشاهق، فتحمست للإبحار، واجترأتُ..

على أن أناديكِ في منتصف ليلةٍ شتويةٍ ماطرةٍ....

السلام على لقائنا الافتراضي الأول.

وإني خاطبتك حينها دون النداءات البروتوكولية المُقننَة، تلك التي اعتادها الجانحون عن حيز فضاءاتهم. أظنكِ لا تعرفين ما كتبته لكِ حينها على جدار غرفة الحديث الخاصة:

"رأيتكِ لتوي ها هنا..... كنت أنتظرك....."

واكتفيت.

أمهَلتُكِ ساعةً كاملةً لتُجيبيني، لكنكِ لم تكتبي شيئًا في المقابل.

بعد ساعتين من الاعتكاف انتظارًا لردكِ، ظهر أخيرًا إشعارٌ إلكترونيٌّ مفاده وكأنكِ قد رأيتِ رسالتي.

اعتكفتُ بعدها ألف دقيقة في انتظار كلمة ترحيبٍ أو قبولٍ، واعتكفت بعدها ألفين في محاولةٍ جادةٍ لدراسة كل كلمةٍ كتبتيها على حسابكِ الشخصي، وكل تعليقٍ منكِ أو إليكِ، وكل صورة لكِ مع أحدهم أو إحداهن.

لكنكِ فضلتِ الصمت، ربما فاجأتكِ أكثر من اللائق بتوجيه حوارٍ من غير سابق معرفةٍ أو تعارف، أو حتى وجودي في قائمة أصدقائكِ الافتراضيين.

أيامٌ مرَّت، شعرتُ خلالها بخليطٍ عجيبٍ من الإحباط والتطلع والاشتياق واليأس والفرحة وإدمان الاعتكاف أمام الناقل الإلكتروني.

قررتُ بعد قليلٍ من الأيام أن أكتبَ إليكِ ثانيةً، أعرفُ يقينًا أنكِ لا تُدركين كيف كانت رسائلي:

"إن كانت صورتُكِ المُعلقة على بابكِ حقيقيةً، فأنتِ تلك التي حلمتُ بعشقها أكثر من ألف حلم في ألف ليلة، ناديت عليكِ بيني وبين نفسي مئات المرات، في خلوتي بذاتي، في حجرتي، في أحشاءِ البحر الذي

أستحم على عتبات موجهِ مرة وحيدة كل عام، على صفحات كتاب العشق الذي انتويتَ كتابته منذ سنواتٍ، ولم أخط حرفًا منذ هذا الحين منتظرًا تسميتكِ باسمٍ يليقُ بجلال قدركِ عندي...

ربما تُشبهين بعضهن في جزءٍ من ملامحهن، لون العين، درجة السُّمرة الأرجوانية الخصبة المُلهمة، وربما في الطول أو مقدار الوزن، أو في عشقكِ لقوالب الحلوى، أو حتى انبهاركِ بمشاهير الفن وكرة القدم...

لكني أؤكد لقلبك أنه متفردٌ تمامًا... تمامًا، وأؤكد لعقلكِ أني لا أجد سببًا واضحًا صريحًا لما أشعرُ به تجاهكِ، وكل ما يربطني بكِ أني رأيتُ صورتكِ في صدارة حسابك الشخصي على موقع التواصل الاجتماعي الأشهر بمصادفةٍ عنقوديةٍ كونيةٍ مُعقدةٍ".

وبالاستعانة بخبراتِ أحد أصدقائي في مجال تواصل البشر مُجتمعيًّا، أدركتُ يقينًا أنكِ لم تقرئي حرفًا من تلك الكلمات التي أرسلتها لكِ على مدار اعتكافٍ ذهني ونفسي كامل دام لأكثر من شهرين.

لذا فإني أبدأ رحلتي معكِ الآن من جديدٍ، أكتب لكِ ها هنا واقعيًّا كل ما لم تقرأيه افتراضيًّا وأزيد عليه:

أني تعقبتُ أخباركِ، وتحدثتُ إلى كل من يعرفكِ واقعيًّا، وتوصلت إلى رقم هاتفكِ، وعنوان مسكنكِ ومحل عملكِ.

أرجو أن تُمهليني لأُكمِل لكِ كل ما بجعبتي حتى نهايته.

أنا يا سيدتي ماسحُ السيارات الذي ظهر في مُحيط منزلكِ منذ شهرٍ ونصف الشهر ليمنح كل سنتيمتر من جسد سيارتكِ كل صباح بريقًا مُميزًا دون أن يظهر ولو مرةً ليحصدَ أجرته.

أنا يا "واقعًا افترضته"، و"افتراضًا جعلته واقعًا" من دفع الكثير ليرضخ بواب وأمن الوزارة التي تعملين بها لتخصيص مكانٍ دائم مغلق، مُعلقٍ أمامه "خاص بالسيارة رقم (.....)"، حتى لا تُرهَقين ثانيةً في البحث عن مكانٍ يستوعب انتظار سيارتكِ حتى انتهاء الدوام.

أنا يا ملاذي من بعث لكِ صندوقًا بحجم اتساع اغتراب اليدين مملوءًا بكل أنواع الشيكولاتة والحلوى إلى مكتبكِ.

أنا الذي أرسل الورود إلى عتبات بيتكِ كل مساء، منٍ عقد اتفاقًا مُغريًا مع مُعدي البرنامج الإذاعي الغنائي الأشهر للاتصال بكِ لتخوضي مُداخلةً مباشرةً تنتهي بإهداءٍ مُرسل إليكِ بأغنية "أنت عمري".

أنا الذي رتبت مفاجأة المتجر الكبير الذي اتصل بكِ مسئولو التسويق والدعاية به ليبشروك بفوزكِ بقسيمة شرائية بعشرة أضعاف فاتورتكِ الأخيرة.

أنا الذي دفع صاحب المقهى النيلي الذي يمنحكِ قهوتكِ كل مساء لأن يُخبركِ بفوزكِ بجائزة المقهى السنوية بخصم نصف قيمة كل فاتورة ترحيبًا بواحدةٍ من أهم مرتادي المقهى منذ افتتاحه ولمدة عامٍ كاملٍ.

أنا الذي وضعتُ القط وقفصه على صدر مقدمة سيارتكِ، صندوق الكتب، قنينة العطر، لوحة وجهكِ المرسوم، قصيدة الشعر، علبة السجائر النسائية الرقيقة، تذكرة مباراة التأهل لكأس العالم في كرة القدم، كارت الذاكرة الإلكتروني الـذي يحـوي عشرة أفـلام عالميـة راقيـة، مـن بينهـا بالطبـع : I Have got Amail ، Sweet Nove، Eat Pray& Love، .....

وأتمنى ألا تنزعجي إن أخبرتكِ أني ذلك الشاب الذي تقدم لعمكِ منذ شهرين طالبًا الزواج منكِ، ولم

يصلني رد على طلبي حتى تاريخ كتابة تلك السطور.

وأتمنى كذلك ألا تنزعجي إن أخبرتكِ أني أجلس الآن على بُعد خطواتٍ من مقعدكِ في مقهاكِ المُعتاد الذي تحتسين فيه قهوتكِ المسائية.

أتمنى فقط أن يدفعكِ فضولكِ لأن تبحثي عني فيمن حولك.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.

 # كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 4

هي.... الفرحة بلقاء... يتبعها مباشرة حزنٌ لدنو انقضائه.

السلامُ على نظرة العين الأولى إلى قلب الحبيب، وفرحة القلب الأولى بميلاد نبضٍ مُغايرٍ لكل أسلافه.

السلامُ على وجهكِ الضاحكِ وأناملكِ التي تحتضن القلب في عناق اليد لليد.

السلامُ على كل الملائكة المُصطفين حولكِ وفوق رأسكِ في مهمةٍ شديدة القدسية لحماية الجمال على أرض الرب.

وإني توسلتُ إلى الحرسِ الملائكي لأن أخترق حدود النظرة ليكتمل عناق الأنامل.

أخبرتكِ في نهاية رسالتي السابقة بأني سأتحدثُ عن تلك اللمعة الباكية سرًّا في عينيْكِ.

سأُفاجئك الآن بتفاصيل اللقاء الأول.

كنتِ هناك، تُباغتين النظرات بثبات الجمال، تُغازلين الحروف بأبهة التلقائية الناعمة في التلقي والحديث.

عزفتُ عن النظر إلى عينيكِ لقاء تفحص عيون ناظريكِ، سامحيني... إنها هواية قديمة بأن أرى الجمال في عيون المتطلعين إليه.

لم أركِ في حضرة الحرف قبلًا، وسامحي جهلي إن قلتُ إني لم ألمحكِ في دائرة احتكاكي بالحياة من قبل، لقد ولدتِ الآن، أو بُعثتِ الآن.

أخبرتُ عيني أنكِ هبطتِ لتوك من السماء، وأخبرتني عيناي أني رأيتكِ قبلًا في حياةٍ قبل الحياة.

كان لا بد وأن أحتفل برؤيتك، أن أقتنص من اللحظة تفردها واختلافها، أن أغتال تلاحق التفاصيل وأُقْدِمَ على محادثتك.

استغرق الأمرُ مني ألف ألف حياة حتى تحتويني شجاعتي وأبدأ أولى خطواتي تجاه الحديث إليكِ.

كنت ولا أزال أعتقد تمام الاعتقاد بأن السماء لا تتنزل بالجمال مصادفةً أو بلا هدفٍ وغاية.

وارتأيت في بعثكِ على كوكبي حنانًا من السماء تربت به على عيني وقلبي.

انتظرتُ مائة حياة أو يزيد كي تصبحي وحيدةً بلا مريدين، لا يصح على كل حال أن يكون حديثنا الأول مُشتتًا بتعددية الأفواه وتقاطع الأصوات.

تأكدت بعد الحياة المائة أن مثلك لا يُترك دون تابعٍ أو مُريدٍ، وأن انتظاري عبث يجب أن يتوقف.
شددتُ الرحال إليكِ، قافلتي كانت بطيئةً مذبذبةً، حائرةً، مهددةً مع كل خطوةٍ بإغارات القراصنة.
لكني وصلتُ.
انتصبتُ أمامكِ كتلميذٍ حصل على ألف درجةٍ علميةٍ غابت عنه في حضرة الملاك الأول كل فحواها.
نظرتُ مباشرةً إلى عينيكِ دون وسيط.
كنتِ تمامًا كوطنٍ خابت ثورته لكنه ما زال يبتسم.
إنه وطني.
وهنا... وهنا فقط... بدأتُ التأريخ لانتمائي.
(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).
وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.
#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 5

هي.... مَن كلفتني السماء بحبها وأوحت لها عيناي أني أحيا انتظارًا لمقدمها.

السَّلامُ على الأرض التي ارتضت باحتوائنا على سطحها، رغمًا عن كل تحذيرات عائلات الكون لها بالتخلي عن فكرة احتواء الفناء.

السلامُ على الأرضِ حين استشعرت معنى الأمان في حضرةِ العشقِ الآدمي الأول، وتنبهت إلى صدق القلب حين يرتبط بآخر، فتنازلت عن كل احتياطات الأمان الكوكبية لتُفسح المجال ليتناسل العشقُ على سطحها.

السلامُ على الأرض حين كشفت النقاب عن هيئة طبيعتها ليُعبر العاشق الجاهل عن حبه بالإشارة، وحين كشفت له عن أصوات طبيعتها ليُخاطب العاشق النابت حبيبه بالصوت منعدم الإيضاح، وحين كشفت له عن الحضارة فترجم الإشارات مع الأصوات ليخترع الأبجدية الأولى.

السَّلامُ على الأبجدية الأولى أينما حلَّت وحيثما اندثرت واختفت معها المادة الخام لعباراتِ العشق الأولية.

وإني أناديكِ يا حبيبتي كل مساء.

يا أيتها الغريبة القريبة!

يا مصباح النور حين تنطفئ النجومُ، يا حرفًا يرفضُ الانغماس في تشكيلِ إيقاع إبداعٍ فقيرٍ، حتى لا يُتهم يومًا بالإجرام في حق القيمة والاختلاف.

يا سيدة القلب..

كيف رأيتكِ أبجديةً في ذاتها، وكيف تحولت من حرفٍ إلى رمزٍ، ومن رمزٍ إلى وطنٍ، ومن وطنٍ إلى أسلوب نبضٍ وحياة.

إن كنتِ حرفًا فلا بد وأنكِ حرفُ النون، أكثر حروف الدنيا جمالًا وجلالًا وقدسيةً، أقسم بكِ الرب فصرتِ توكيدًا للحقيقة وتبيانًا للحق.

وإن كنتِ كلمةً فإنك نورٌ من دون نار، وإن كنتِ كتابًا فأنتِ كتابُ العشق المُقدس، ذلك الذي لا يكفر به من كان عاقلًا متفكرًا بقلبه.

ياا كل الحروف وكل الكلام وكل الكتب.

هل أخبرتكِ يا سيدتي قبلًا بأني قررتُ التعمق في دروب الفلسفة- فقط- لأمنحكِ توصيفًا ذهنيًّا مغايرًا لمباشرة الحرف وتلقينية الوصف.

لقد رأيتكِ تاريخًا لعمري القادم، فقررتُ كذلك أن أبدأ التأريخ لمستقبلي... فقط بالنظر في عينيكِ.

يا صديقة الطفل الكائن في دخائلي.. اعلمي بأني لن أسمح لي بالاحتفال بعيد ميلادي القادم، وأي قادم.... حتى أحتفظ بصداقتك المرهونة بطفولتي.

يا علبة الألوان!

يا أمة الحروف!

يا قبيلة الأرقام!

سوف أستأذن منكِ قليلًا حتى أعكفَ على تكثيف كل قراءاتي ومذكراتي ومحاولاتي للإبداع لتشكيل كوكبٍ جديدٍ يحوي مفردات ملامحكِ وفقط.

سأطلق عليه الملاذ...

يا كوكب الملاذ.. إني أمنحكِ التحقق والتفرد والخلود، فامنحيني فقط الحياة على سطحك.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ... ما دامتْ للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 6

هي .. ملاذي حين تختبئ عيناي وراء حجابٍ بعُمق الدنيا وشرورها، ونفسي وشطحاتِها، فلا أجد من بين البشر ما يدفعني لأن أبتسم سوى تذكيريٍ بأنها هناك، ستحملني إذا أعياني الفكرُ والشرودُ.

وبعد السَّلامِ ..

وقبل الفراقِ.

وبعد الغيابِ من بعد الغياب.

وبعد انتحارِ الممكنات.

أُقرئكِ الحبَّ.

وأمنحكِ سكينة الانتظار.

فقط سوف أحكي لكِ، ومن دخائل الحكي سوف أحكيكِ.

كيف أحكيكِ؟

سوف أبعثر المواطنين سكان جراب الأبجدية بإطلاقهم في براحِ الهواء قدر ما أستطيع وقدر ما أمتلك من خيالٍ، وأمنح السماء لحظتها دورها المُقدس المطموس فيَ إعادة لملمةِ الحروفِ على سياقٍ غير متوقع.

لحظتها، ولحظتها فقط... سوف تتحولِ الأبجدياتَ إلى نقوشٍ نورانيةٍ تَشكل قسمات وجهك، مرئية لي وحدي، بينما يراها الآخرون نورًا كثيفًا مُكثفًا يجتهدُ نافذًا منَ السماء إلى الأرض عبر الثقب الفاصلِ بين سحابتين في نهار يومٍ شتوي مُشمسٍ.

هل تعلمين بأن أول كتابٍ ابتعته وقرأتُه كاملًا كان يتحدث عن الثورة الفرنسية، كتبه أحد اللويسيين عوض أو جريس، لا أتذكر تحديدًا، لكني أعتقد أن جوجل يعرفُ صحيح المعلومة جيدًا.

ليس هذا هو المقصود في ذاته، أردتُ فقط أن أمنحني ما ضنَّ به التاريخُ عليَّ.

أن نصبحَ أصدقاء منذ الحبو العقلي الأول.

لكِ أن تتخيلي كيف لطفلٍ في الثامنة أن يبدأ عَلاقته مع الكتب بدراسةٍ عن الثورة الفرنسية، وكيف لعقله الصغير أن يتمادى فيبحث عن المزيد، وكيف يفقد صوابه غير المُكتمل من الأساس فيبدأ في العاشرة بحثًا متعدد المنابع والرؤى عن ثورة الضباط في مصر على الملكية، تلك التي أسماها انقلابًا فيما بعد.

وعندما تبين له تمامًا أن كتب العرب تقتل بتباينها المُتعمد كل أثرٍ للحقيقة، فقرَّر القرار المجنون الأول في جنونه...

قرَّر أن يسأل المُحتلين .... أو الملك.

لا عليكِ.. ربما الكلماتُ ليست مفهومة معانيها البعيدة، وبالتأكيد هي لا تعني معانيها القريبة...

لذا ربما ينبغي علينا الاتفاقُ على احتمال الغموض أو تفكك الأفكار واغترابها.

علينا اصطناعُ براحٍ لا يحوي ولا يقبل سوانا، لا يجب أن يتفهم غيرنا تلك الرسائل على كل حالٍ.

نسيتُ أن أخبركِ كذلك بأن رفاقي كانوا يسخرون دائمًا من قراءاتي ومن طريقةِ حديثي، حتى إخوتي كانوا يرونني صاحبَ عاهة.

هل أضطر الآن لأن أقسم لكِ أنك كنتِ حاضرةً تلك المشهدية المرعبة لكيان صبي صغيرٍ .

كنتُ أراكِ واقفةً، ناظرةً من بعيدٍ بعيدٍ، تخشين الاقتراب، أو تُفضلين تأجيله.

أيامها كنتُ أراكِ بلا ملامح جليةٍ، لكن ابتسامتك كانت حانيةً إلى الحد الذي يجعلني أتحمل المؤامرة الكونية بتسفيه ما أحب، كنتِ منذ البدء وازعًا للاستمرار.

حتى أني رسمتك بالألوانِ الخشبيةِ في الصفحة الأخيرة من كراسةِ الرسم، تلك التي لم تكنِ الأبلة كوثر مُدرسة الرسم تُوليها أي اهتمام، ولا تطلب من أحدنا الرسم فيها، لكنها قد تمنح أي منا علقة مُعتبرة إذا لم يشترِ كراسة الرسم أو تناسى جلبها معه من المنزل.

كنتِ الرسمَ الأول في كل كراساتِ الرسم في كلِّ حصص الأبلة كوثر.

ولأن الجمالَ في الدنيا يحتمل قرصنة الأشرار بين الحين والحين، فقد رأى الزميل "هيثم محمد السيد الفطاطري" وجهك الباسم في صفحةِ كراسة الرسم.

وما هي إلا فيمتو ثانية أو أقل حتى كان الخبرُ على عتبات خرزانة الأبلة كوثر.

لم تنتظر إجابةً على سؤالها حتى تُقرر العقاب من عدمه.

لكن كل ما أتذكره أني أجبتها من تحت أنقاضِ التعذيب ...

" هذا وجهَ الوطن "..

نعم... أجبتُ الأبلة كوثر بالعربية الفصحى بأن وجهك وجهُ الوطن.

فغرت فاها لخمسة لملايين الفيمتو ثواني ثم أكملت مهمتها المُقدسة في وأد الفتنةِ في عقلي، مرددةً بعصبيةٍ أشد: "مين حفظك الكلام ده يا قليل الأدب؟".

هل أحتاج بأن أقسم لك بأن وجه الوطن في الرسمة الطفولية بكراسة رسمي الرضيعة، والتي مزقتها الأبلة كوثر إلى ألف ألف قطعة ورق... كان وجهكِ أنتِ.

تبين لي الأمرُ حينما رأيتك للمرة الأولى بنفس الابتسامة التي انتميت إليها منذ سنواتٍ بعيدةٍ.

شكرًا لأنكِ كنت هناك عندما اتهموني بفشلي في احترافِ الطفولة، ذلك الذي يمنحهم صكًّا خياليًّا بعملقة الرؤية والأحجيات.

شكرًا لأنكِ منحتيني ما يكفي ساعتها لتحمل المزيد والاستمرار في دربِ الجنون.

شكرًا لأنكِ منحتِ التاريخ نبضًا ودمًا ليحتمل ألمَ المخاض حتى يُولد المستقبل.

شكرًا لأنكِ ما زلتِ تبتسمين.

شكرًا لأنكِ تقرأين رسائلي.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 7

هي.... شعاعٌ من أملٍ نفذ إلى أيامي هاربًا من قيودِ القرابين فمنحني كثيرًا كثيرًا من الصبر.

السَّلام على من خلقَ الأعيادَ لتمنح الناسَ الصبر على غموضِ مستقبلِ الفرحة.

السَّلام على من اعتقد في حتميةِ التشبث بالسعادةِ حين يحين العيدُ.

السَّلام على الفرحةِ المُؤجلةِ، والعيدِ المُؤجل.

السَّلام عليكِ.. يا عيد القلب وفرحته.

وإني مُهادنٌ للحزنِ....

أستظل بعيدان الفرحة، فأسترق السمع ليخبرني الناس بأنها أيامُ عيد.

كل عام وأنتِ العيد، وأنت الضحكة المُخزنة بجاهزية الكريم كموطنٍ للجوءٍ موقوتٍ ومؤقتٍ، هاربًا من أغلال الحزن، آملًا في الحصول على تأشيرةٍ بالإقامةِ الدائمة بعيدًا عن أوطان الدموع.

أحتاجُ إليكِ.

بكل ما تحمله الكلمةُ من معانيها البِكر النقية قبل أن يألفها العوام ويمرون على مكنونها مرور الغافلين.

أحتاجُ إليكِ.

كيف يأتي العيدُ دونكِ؟

وكيف يُحددون موعدًا للعيدِ دون مراجعةٍ لأوان التجلي بداخلك.

الآن.. الآن... تخلي عن كل حساباتِ المنطقِ الدَّارجةِ، اقتحمي معي أسوارَ غير المُفترض والمستحيل، استعدي لتحمل تبعاتِ القرار الأكثر جنونًا فيَ حياتنا.

الآن.. الآن... تجهَّزي للظهورِ في مؤتمرٍ صحافي مُغلق، تُعلنين فيه أمام كل منافذ حواسك بأنكِ مهيأةٌ تمامًا للقائي، لا تتعجلي في الرد، استخيري قلبكِ بعد أن تؤممي العقل لصالحه.

أحتاجُ إلى الفرحةِ، مللتُ التظاهر بها، واستجداء ملامحها بالدموعِ، أشتاقُ إلى الضحكة النقية في أيامي الخوالي، أحتاجُ إلى طفولتي.

أتوسل إليكِ بأن تمتهني فعلَ آلة الزمن الأسطورية، لتُعيديني إلى ما قبل الإدراك والصدمة والتصادم، إلى ما قبل محاولاتِ إعمالِ العقلِ، إلى ما قبل النبوةِ الزائفةِ، إلى ما قبل إدمان الحرفِ والضياعِ بين ثنايا دروبهِ.

يا أيتها الفرحةُ المؤجلةُ، يا بريقَ العين الواهبِ للأمل، يا ابتسامتي المُخزنة، يا خارطة الكون بكل تفاصيله، تضاريسه، وتاريخه....

.. كوني أنتِ الحياة حتى أعاود حبها...

كوني أنتِ السماء حتى تُمطري بخَّات الفرحة فتنبت الزهورُ مُعلنةً انتهاء عصور التصحر.

اصنعي لي من كلمة "أُحبك" زورقًا شراعيًّا بحجم مشهديةِ الشروق، أمتطيه سابحًا في شراييك، مُتنعمًا بكل خلايا الجنةِ في تفاصيلك.

يا مصباحًا زيتيًّا بدائيًّا عرفتُه صغيرًا عند انقطاع كل سُبل النور ليلًا، يهبني الدفء في ليالي الشتاء الموحشة، يمنحني فرصة جديدة لاكتمال النبضَ، أستذكر على أشعته كل دروس العشق المُصفى والمُنزه، أُهرولُ منتهيًا من كل فروضي الجنونية قَبل أن يغيبَ وينتهي.

يا كل الذكرياتِ المؤجلةِ، يا كل قصص الغرام المُعتقة، يا كل الحب، وكل العشق، وكل الدماء في شرايين الورق.

امنحيني الخلودَ على عتباتِ شفتيكِ، كوني أكثر سخاءً من خصوبةِ الأنهارِ، وكافئي قلبي بأن يحتضن قلبكِ.

ضعي يدكِ فوقِ يدي، وقلمكِ بجوار قلمي، ودعينا نخط للعوام تعريفًا جديدًا للعشق، دعينا نُخبرهم بأن الحب ليس كلمةً وفقط، وليس قُبلة وفقط، وليس لقاءً ووداعًا، نحن يا رفيقة القلب مدفوعون دون إرادةٍ أو اختيارٍ لنهب الحياة للعشق الكامن إكلينيكيًّا بين الناسِ وبداخلهم، ليس لشيء إلا لأننا مُنتخبون لامتلاكِ زمام السراب كله، (الوهم... والقلم).

اكتبي معي بدايةً لا تبدأ... حتى لا نستنهض ساعة التاريخ الزئبقية لبدء العدِّ وصولًا للفناء.

دعينا معًا نتلاعبُ بالزمن، نودِع كلماتنا في بنكٍ سماوي خارج كل حسابات البشر المتأقزمة.

نصنع ساعةً لا تخص سوانا، تتجدد عقاربها مع كل قصةِ عشقٍ صادقةٍ، نرصُّها مع مثيلاتها في خزينة الخلود.

دعيني أصمم في ساعتنا جهاز إرسالٍ بمفرداتٍ غير ماديةٍ، نتواصل به مع عشاق كائناتِ ما قبل الخلق الآدمي، مع نماذج لا نهائية من حيواناتٍ عاشقةٍ، ونباتاتٍ مُحبةٍ، وأشجار غاباتٍ تتناسلُ في السماء فيولد الجمالُ على الأرض.

دعينا نتواصلُ مع كائناتٍ تحيا في كواكب أخرى، ومجرات أخرى، وسماوات أخرى...

نجمعُ الكل في كونٍ واحدٍ وحيدٍ، نبتدعُ له اسمًا من أبجديةٍ جديدةٍ، لا يعيها سوى سكانه.

سوف نصنعُ حضارةً لم يعهدها بشرٌ، نختلقُ حروفًا جديدةً للأبجديةِ ننقشها على معابد العشاق ، ونصوغها نواةً للسمو.

دعيني أطلق عليها حروف (الرواح)، تلك التي لن نُقرنها عبثًا بحروفٍ أخرى مآلها الفناء، سنصنع منها قِبلةً للروح، تلك التي سنُصادقها يومًا ونقنعها بأن تصير سفيرةً لنوايانا بالخلود.

سنفتعل حرفًا يُولد من فعل الاقتران والالتصاق، يُولد مجسِّدًا لتقوس رحم الحياة واستدارة قرص الشمسِ، محني بكامل إرادته بانحناءةِ كهولةِ الحكماء ثم يستقيم ليتقبلنا على سطحه صاعدًا نحو التفرد..

(الواو ألف)... (و ا)

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية.. ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 8

هي..

من أغضب منها آلاف الساعات في كل ليلةٍ لأنها ليست بجوار أنفاسي، وأعتبُ عليها أنها دائمًا ليست على نفس القدر من القرب أو الاقتراب.

السَّلام على من اتبع النور، واعتقد في براءة الجمال من ذنب الغواية.

السَّلام على من رأى بالقلب ندباتِ القلوب المستترة.

على البساطةِ أينما كانت، وعلى البراءةِ حيثما حلَّت، وعلى عشقِ الحب ولو كان وهمًا.

السَّلام عليكِ يا أم النور ومطلع حرفه.

وإني مُنقب فيكِ عن الحرية، تلك التي فسرتها قبلًا باللاانتظار، واللاارتباط، واللااعتقاد.

التوحد حريةٌ، والاستغناءُ عن الامتلاك حريةٌ، فابحثي جيدًا عن كل ما يُقيد حريتكِ حتى تُنعمي عليه بفعلِ التخلي، وتنتصري لذاتك بالتحرر من سطوةِ الأناقةِ الوقتيةِ في التصاقه بوجودك.

وإني رحلتُ عن المدينة إلى حينٍ، أقتفي أثر الجمال بين ثنايا ذرات الرمال وفضول كتائب استطلاع الموج لجاهزية الأرضِ لاحتواءِ الاختلافِ عِوضًا عن الخلافِ.

وإني لم أجد ها هنا يا مُلهمتي سوى نبضِ قلبٍ تنكَّر مُصطبغًا بحبات رملٍ صفراء تناثرت على طولِ خط مواجهة جيوش الموج، ليُعلن لي وللبحرِ وللموج ولشروق الشمس وغروبها ولاكتمال القمر ونقصانه،

وللنور الذي أنتِ منبته، أني أفتقدك، وأفتقد المدينة والخلاء... وإنك أنتِ الجمال. حيثما كنتِ كان.

وإني صعدتُ إلى قمة الجبل، مُصطحبًا كلبًا أقنعتني وهمًا بأنه من أحفادِ كلب أهل الكهف، أشركته معي انتخاب نجمٍ عاشقٍ واحتضانه من مكمنه، قبَّلت النجم من وجنتيْه.

وإني سمَّيته عشقًا)، واختليتُ بذاكرته وأبقيتُ الكلب المُقدس شاهدًا على ما كان.

يا أيها النجم المُعبأ بالضحكاتِ والعَبرات، يا حارسًا للجبلِ النائم واقفًا، يا خادم القمر الأمين، يا كتابَ تاريخ صامتٍ، يا دامع اللمعة والضحكة، أنبئني بتفاصيل اللقاءَ الأول والوداع المحتوم، أخبرني من عليائك كيف كانت حبيبتي قبل أن تسقط من فوق قامة نجمها لتمتطي قبسًا من أرضنا.

ارتقِ بوجودك الكوني لتتجسدَ رسولًا بين قلبين، لتكن رسولي إليها، ارتدِ ثوب النور الساطع حتى تتقبلك وتستَمع إليك، فإني أعرفُ كيف عشقها للنور.

تعلم عني لغة العرب الحانية المُفخمة فإنها تُبجل من يحترفونها، لا بأس عليك إن تدربتَ قليلًا على الغناء، فإن قسمات وجهها لحنٌ سماوي مُنمقٌ.

اقرأ عليها حروفَ الحب وآيات العشق لتمنحها دروبَ الخلاص والحكمة وذرائع الاعتقاد.

أخبرها عني أني اصطفيتها لتشملَ ضعفي الكامن، وأني انتخبتُها لتُهيمن على ملكوتِ الضياء المُصطنع في أعماق بصيرتي.

افتعلْ أمامها أعاجيب لا يأتي بها بشرٌ حتى تتيقن من خارقية أحلامي في حضرة عشقها.

أخبرها أني لا أرتضي الجلوسَ في مقاعد عشاقها الأمامية، وليس يكفيني كذلك إن كنت أولهم...

أخبرها أني أهوى التفرد، وأني متفردٌ بها ولأجلها، وأني مُنزهٌ لا أقبل لي شريكًا في عشقها، ولا أقبل بميلادِ درويشٍ أو بزوغ وليٍّ لها.

سوف أعملُ جاهدًا لأن أنقل كل الوهج الساكن في شراييني ليضيء لها سقف إدراكها ليستحيل الظلامُ في حضرتها، ولسوف أحرث لها بين نواصي مجرات الكون سماءً تُزرع على سطحها أشجارٌ نورانية تنعقد على عيدان أغصانها نجومٌ صداحة.

صغيرًا، أراد معلم العلوم أن يمنحنا قدرًا من أريحية التناول للخيال، طلب منا- بعد أن أخبرنا بأن كل نظريات نشأة الكون تخيلية تقديريةٌ ومتغيرةٌ مع تغير المعطيات عبر السنين- أن نمتهن الخيال قليلًا ونمنح أنفسنا والآخرين نظرية جديدة لتفسير النشأة والتكوين والتطور.

وإن الخيال هواية عقلي الأولى كما أنتِ هواية قلبي الوحيدة.

نظرتُ كثيرًا قليلًا من نافذة الفصل، ورسمتُ فيلمًا سينمائيًّا على شاشة القدْر الذي واجهني من حجم السماء، جمعت لبطولته كل أبطال الأساطير التي سمعتها، والحكايات المقدسة التي ترويها المآذن، والتراتيل المُنزلة التي تملأ البيوت العطشى للأمان.

أخبرتُ مُعلمي اختراعي الكوني الفذ، ونظريتي النابتة من الأساس من نبوتي المؤجلة:

"الكونُ نتاج الشجار الأعظم بين النار والجنة، حين بصقت الأولى على الأخيرة مدعيةً تفردها بالقوةِ والوهجِ والهيمنة على آبار الرهبة، فتطايرت من فمها جبال البراكين واللون الأسود....

فردَّت عليها الجنة بصفعةٍ مباغتةٍ، فتطايرت الأنهار والأشجار واللون الأبيض.

وجئنا نحن ها هنا متطوعين للصلح بينهما".

ألمحكِ تبتسمين بارتيابٍ يا حبيبتي...

كان الحل الوحيد الأوحد لمدرس العلوم بعد أن اجتمع بوليِّ أمري وناظر المدرسة أن يتم نقلي إلى صفٍّ آخر لا يُدرس له حتى يُنهي أبي تربيتي.

لكن دعيني الآن أُعيد إجابتي بعد تآكل كل هذا الكم من السنين، ولربما أُرسل بإجابتي الجديدة لمعلم العلوم إن كان لا يزال مُتشبثًا بالحياة.

"الكون نتاجُ التقاء عاشقٍ من سكان الجنة لعاشقةٍ من سكان النار، ولربما كان النقيض أصح، حين ولدٍ الحب لتوه وحيث سكن، الكون هو الجمال الذي ترَسَّم حين انتخبتكِ النار لتكوني رسولتها إلى الجنة آملةً في الوحدة والسلام.. ولربما كان النقيض أصح".

الكونُ انشطارٌ فلكي هائلٌ بين خياليْن، هو حرفٌ من حروف أبجديتك، نورٌ تشكل فقط ليُبرز تفاصيلَ تكوينك النوراني.

وإني عاشقٌ للحياة ما دمتِ فيها، وعاشقٌ للموت شريطةَ أن أُمنح وعدًا باللقاء والرفقة، وإني ولِهٌ بالجمالِ فقط لأنكِ منه وإليه وبه وعنه وله وعنده وفيه وتوكيده ونفيه وتفخيمه وتشكيله وتنميقه وحاملةً لخلوده حتى يحين الحين، فيولد من ضلعكِ مُجددًا إصدارٌ حديثٌ للجمال يتسق مع معطيات الحيوات الآتية.

يا حبيبة الجمال ومعشوقته، يا ترياق تشبثي بالروح، امنحيني قُربًا واقترابًا من عروشك في كل المكتوب من حيواتك، فإني أستحق... فقط لأني أحبك... فقط لأني أحب... فقط لأني أحبك.... ويكفيني.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية.. ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 9

هي..

يوم مولدي، ويوم فراقي، ويوم بعثي...

هي جنتي... وناري.

هي مَن جئتُ ها هنا بشريًّا لألقاها.... فقط.. لألقاها.

السَّلام على كلِّ مَن تجرَّأ يومًا وتذكر يوم ميلاده... ثم احتفل.

السَّلام على كلِّ مَن تجرَّأ يومًا وتذكر حقه في الحرية... ثم ثار.

السَّلام على هؤلاء الذين وأدوا الفرحة من مهدها، حتى لا يأتيهم يومٌ بعقابٍ أكثر نفوذًا من فرحتهم، فارتضوا بالعيش بيْن بيْن.... لا لهم، ولا عليهم.

وإني باكيًا.. أحتفل..

عيدُ ميلادٍ جديدٌ....

أحتفلُ معكِ هذا العام بكل آيات الانتهاء والابتداء مجتمعةً، بانتهاء ذكريات الطفولة، وابتداء ميلاد الشَّعر الأبيض.

بنضج القلب أكثر، وبعشوائية العقل أكثر.

أحتفلُ بالفاجعة الأشد حين خسرنا الوطن، والهزيمة الأفدح حين خسرنا أنفسنا في غياباته.

نحن جيلٌ فُطِم على التبلد والتخلي وحين أبى وتمرد، اصطفَّ الجميعُ متفقين على إبادة حُطامه.

هل تعرفين يا رفيقتي؟

نشرتُ إبَّان وهم الخامس والعشرين من يناير إهداءً لأحد إصداراتي جاء من ضمن ما فيه :

" إلى جيلي الذي أشرُف بانتمائي إليه، معكم نُعاهد الوطنَ والتاريخَ أن نحترمَ مُكتسبات الثورة لنُجمل.. مُستقبل الأمة".

لم نحترم.... ولم نكتسب..... ولستُ أرى الآن مستقبلًا.... ولستُ أعترفُ الآن بأمةٍ.

أكتبُ إليكِ الآن في عزلةٍ من الجميع إلا من بعضِ الدموع التي تأبى وحدتي، مُتجبرةً تتردد على جدران الفؤاد، إلى أن تلمست صدق نواياها والألفة نحوها فصدَّقت على صداقتها ووهبتها قدسية مشاركتي كتابة الحرف من وراء العيون.

بالله عليكِ لا تحزني، ففي كل الأحوال لا بد وأن يبقى البعضُ منا متظاهرًا بالحياةِ، إلى أن يحين الحينُ فيتوجب الانتهاء.

سوف أمنحك الآن سبقًا لم يُفكر فيه مجنونٌ من قبل، لقد توصلت إلى النظرية الأكثر إقناعًا لممارسة الحياة والاحتفاء بالموت.

نحن لسنا أحرارًا، لم نُولد أحرارًا من الأساسِ، ولم نحيا كذلك، أو ننتهي.

مهلًا حبيبتي.. لا تتعجلي الحكم على الكلماتِ بوضعِها في آنيةِ الهذيان.

يا سيدتي.. لقد دُعينا للحياة، لنتعلم القدر الذي فُرض علينا ويُسر لنا.

ثم دُعينا للاعتقادِ، ثم إلى العملِ، ثم إلى التشاحنِ، ثم إلى الاقتتالِ، ثم إلى اليأس.

دُعينا إلى الثورة، ثم دُعينا إلى التخلي عنها.

دُعينا إلى الحب، ثم إلى تحويله إلى الحربِ بكافةِ دروب كراهيتها وملامحها.

دُعينا إلى الحياةِ اختصارًا، ومدعوون إلى الموت في كل وقتٍ، ولا نستجيب إلا إذا قُبلت استجابتنا اللاإرادية من الأساس.

ونأتي إلى الدعوة الأكثر تعقيدًا وكارثية.... لقد دُعينا إلى الحفاظ على استمرارية العبودية.. فتناسلنا..

كلنا عبيدٌ، وإن تظاهرنا بألف ألف مظهرٍ ولغةٍ وشكلٍ ومعتقدٍ.

ولا تعتقدي بأن الجلادين أحرارٌ... هم عبيدٌ مثلنا، مجلودون مقهورون مجبرون بألف شكلٍ وصفةٍ.

نحن في دوامةٍ دائريةٍ مُحكمةِ التعقيد، ومُعقدة الإحكام.

أعكفُ الآن يا ملاذي على التنقيب عن ذلك الثقب المُضطرم فراغًا والذي يُبقيني بعيدًا خارج تلاطم الأمواجِ الكئيبة.

لستُ موقنًا من وجودِ الثقب من الأساسِ، لكن ليس لديَّ ما أخسره على كلِّ حالٍ.

أعرفُ أنِ الكلمات هذه المرة مُفعمةٌ بالمرار، وأعرفُ أنكِ ربما لا تحتملين المزيد من اللون الأسود، وأعلم يقينًا أن نزيف اللون الأبيض الصافي أرهق قدرتنا على الاحتمال وربما الاستمرار.

وموقنٌ بأن الشيء الوحيد الذي قد يطفو بنا فوق تلال الموج المتناحر هو القلة القليلة المتبقية من الحب

في دخائلنا.

بعضٌ من ذكرياتٍ نسطو على الأيام سطوًا لاقتناصها، نجترُّها في الحِقب العجافِ كالتي نتجرعها الآن، وإني إذ أبعثُ إليكِ الآن بتلك الرسالةِ المُشفرة، فقط لأخبركِ بما لم أفصح به قبلًا في واقعي أو على الورقِ.

لم أعد احتملُ المزيد من الهراء، عاملُ الزمن يتضاءل أمام إدراكي، أتحرر شيئًا فشيئًا من محدودية النظرة والاعتقاد، من فكرةِ التجنس أو الارتباط بأرضٍ من أساسها، من فكرة الحب المجردة والمنغلقة على شيءٍ أو شخصٍ أو كيانٍ.

إني أدعوكِ الآن إلى مفهوم الحرية الأكثر شمولية، لنقتل معًا كل الأناشيد التي تعلمناها صغارًا، لنكفر بكل المسلمات التي توارثنَاها، لن نلتزمَ بعد اليوم بلغةٍ بعينها، ولن نحترمَ علم الحساب والفلسفة والأحياء، العلوم كلها في مخيلتي مجرد تقنينٍ أعمى لمبرراتٍ جوفاء تُفسر ما تقاعسنا على إعمال العقل بكامل طاقته لتفهمه وتسخيره وتطويع وجوده لاستنباط السعادة.

نحن مصنعُ السعادةِ على الأرض، وأنتِ لي كل الأرض، وكل آلاتِ السعادة على سطحها، دعينا نُتقن الاختلاف، لا نرتضي بالقليل، نطمحُ في كل الوقت بأن ننال حقنا كاملًا من الكون.

إنه عيدُ ميلادي الثامن والثلاثين، كم هو ضئيلٌ هذا الرقم في فهرسِ كتاب التاريخ وهوامشه، كم أنا قزمٌ تافهٌ في معادلة الحساب الكونية...

لكنني طفلٌ صغيرٌ صغيرٌ في واقعي، إذ بدأتُ التقويم لميلادي مُذ رأيتك للمرة الأولى، وبدأتُ التأريخ لحواسي حين لامستك وتشممتُ عبير النور الساطع من كل أرجائك.

وإني كهلٌ كبيرٌ كبيرٌ في واقعي، إذ انتهيتُ من كل الدنيا زهدًا وتشبعًا حين تعانقتْ شفتانا للمرة الأولى.

يا قبلة الابتداء، وضمة الانتهاء.....

كل عام وأنتِ في العمرِ ماضيه وآتيه.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ.. ما دامت للقلب هويةٌ.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 10

هي ... مَن اختصرت النهاياتِ وبدلت معنى الخلود إلى لحظةٍ في القُرب.

السَّلام على الحُرية، السَّلام على الأمل، السَّلام على مبادئنا التي تسلبُ منا التحصُّن ضد الظلم بالاستكانة، السَّلام على طموح الغلابة ودموع الفقراء، السَّلام على زيف كلمة سلام في واقعنا.

السَّلام على الكلمةِ حين تصفُ الحقيقة وتلهثُ وراء الحق، السَّلام على مَن آمن بها وأعلنها ووضعها في جيوبِ البسطاء، السَّلام على السجن الذي تحرَّر من وراء آلاف القضبان ليسكن عقول وقلوب المُدجنين.

السَّلام على من أراد في هذه الأرض ولها وعليها خيرًا، ثم اتُّهِم بالخيانة أو بالجنون أو الجهل.

السَّلام عليكِ حين وقفتِ صامدةً شامخةً أمام السَّجان لتهتفي أمام أدوات الظلم "إن حبيبي أشرف وأشجع من سجَّانه".

وإني أكتبُ إليك من وراء جدار، من خلفه جدارٌ، ومن أمامهِ ألفُ جدار وجدار، وإني أتذكرُ الآن كل الشعارات التي قتلناها هُتافًا وقُتلتنا غير آسفةٍ بسلبيةٍ باردةٍ، وأذكر الآن كل الوجوه التي رفعتنا فوق قاماتها وجباهها ثائرين مُرددين نداءات الاستقلال من العيش جوار الجُدُر، وهي ذاتها الوجوه التي تنصلت لنا وعاقبتنا باختفائِها خوفًا وطمعًا.

وإني مُشفقٌ عليكِ من الحياةِ في السجن الأكبر، لكم تمنيتك ها هنا في ملاهي الاستبداد الراقصة، فالزيف هنا واضحٌ بلا مساحيقَ للزينة، والتأويلاتُ هنا ما بين مُحرمةٍ ومكروهةٍ، والناسُ لا يلجأون لاستعمالِ الكذبِ، إيمانًا منهم بأن الكذب قد خُلق للنجاةِ مما هم فيه، أما وقد علقوا فيه وأُغرقوا، فليقتلوا الخوفَ بالصدق ويكتسبوا ثواب الصامدين من غير مكافأةٍ سوى شعورهم بأن شيئًا صحيحًا يزحفُ في ضمائرهم.

وإني أتذكرُ الآن كيف تعلمتُ منك تفاصيل الحرية، وكيف خجلتُ في بادئ الأمر من أن أخاف وبجواري ملاكٌ ثائرٌ في الحق قاهرٌ للخوف.

اكتشفنا المشهد معًا، وتلمسناه معًا....

عدْوٌ وراء الهدفِ، الأملِ، المطمحِ، الرقي أو الارتقاء، النور، الاتزان، راحة البال، الأمان، الحب، الحنان، تحقيق الذات، ضمانة المَصير والمآل، رضا الرب.

عدْوٌ وبحثٌ وتنقيبٌ عن السعادةِ.

وطنٌ يقفُ في صفِّ الأعداء مُجبَرًا (ربما)، أهله ينساقون وراء العتمةِ خوفًا من افتضاح عوراتهم في النور.

جيناتٌ محليةٌ توارثتها أجيالٌ من بعد أجيالٍ تحملُ بين طياتها التجبر على الضعيف، والرضوخ للقوي.

لا أستثني من ذلك أحدًا.

السعادةُ، طريقُ التنصل من نبت الجينات المتفرعنة.

السعادةُ شأنُها شأنُ مصطلحاتٍ عديدةٍ تعلمناها صغارًا في صفنا النابت، شأنُها شأنُ الكرامة والوطنية والأخلاق والصدق والحرية والشرف والتاريخ والتسامح.

مصطلحاتٌ وجدناها تترعرعُ على صفحات الكتب وفقط.

ونحنٍ أُناسٌ لا يعرفون ولا يعترفون بالكتب، فلم نجد تلك المصطلحات في واقعنا مُعاشًا أو حتى مُتخيلًا.

كيف أنتِ الآن يا رفيقة قلبي وحرفي وهُتافي، كيف أصبحَ الوطن بداخلك، كيف توازنين بين الغضبة على واقعٍ لا ينتظرُ مستقبلًا، والتزامٍ بتلقين الصغار عشقَ الوطن ولو كان كهلًا مريضًا، أو مجنونًا.

كيف لنا أن نتوبَ عما اقترفناه في حقهم حينما قررنا إنجابهم ظنًّا منا بأن قادم الوطن حُر وعزيزٌ، وكيف لنا أن نستغفر الرب لهُتافنا الرقيق في آذانهم يوم مولدهم "كن حُرًّا.. كُن حُرًّا".

وكيف لي أن أخرج إلى السجن الأكبر يومًا لألقاكِ؟

لا أظنني سأستطيعُ النظر إلى عينيكِ مرةً أخرى، أحدنا خدعَ الآخر، أحدنا لم ينصح الآخر، أحدُنا لا بد وأن يكفر بكل شيءٍ، والآخر لا بد وأن يظلَّ مؤمنًا بكل شيءٍ، حتى إذا صحَّ شيءٌ، وجدنا لصغارنا أي شيء.

الحياةُ هنا كاملةٌ تمامًا غير منقوصةٍ، أكتب بعيني على الجدران، أغتسلُ مما تبقى بذكرياتي من قُبلاتك الحانية، أضاجعُ الأفكار نهارًا لأنجبَ منها أملًا في سكونِ العتمة.

أحتسي الأيامَ بمرارةِ المريض المُجبر على ترياق الشفاء، والمتلذذ بلذةِ العقاب لكونه لم يستمع يومًا

لنصائح العُقلاء في انتخاب أرضٍ حقيقيةٍ على واقعه يعيش عليها مُتخليًا عن كل الأوهام الرنانةِ، والأحلام التي ثبت بالدليل التاريخي القاطع أنها لا تتحقق... فقط تسحقُ كلَّ من يُجاهد لأجلها.

يا حبيبتي الصديقة، إن وصلتك مني رسالتي هذه، فاعلمي أني كافرٌ بكل ما تعاهدنا عليه، واعلمي أن قلبي الذي عشقك يومًا في تلابيبِ الوطن، وارتوى مع قلبك بالأحلام والأمنيات، قد صار حيًّا إكلينيكيًّا، لا نبض فيه ولا رجاء منه.

كلُّ الثوابت خارت، وكلُّ التطلعات تأقزمت، وصارت أكثر أحلامي شططًا وجنوحًا وغرابةً، أن أعيش بهدوءٍ، وأن أموتَ بهدوءٍ، وألا أعشق أبدًا... أبدًا.

لا تتسرعي في الحكم على رجلٍ اعتاد المهانةِ وتمرَّس عليها حتى إنها لم تعد تُخيفه أو تنال من كبريائه، لا أظنكِ ستكونين سعيدةً إن استمر حبك رباطًا يلصقك بإنسانٍ سابقٍ.

وإني واهبكِ الآن ذريعةً أسطوريةً لتتخذي قراركِ دون تفكيرٍ أو تأويلٍ أو تأنيب قلبٍ أو ضميرٍ.

إني هنا أهتفُ في باحة السجن الأصغر كل صباح بحياة الملك، وأدعو مع كل صلاةٍ لتوفيق الملك، وأتمادى في السُّباب مع كل مناسبةٍ فيمن يكرهون الملك.

إني هنا أنظف كل صباح مكتب سجَّان الملك، وأُلمِّع حذاءه كل صباح ومساء، وأصنع له القهوة المُعتقة التي علمتني صُنعها في ليلة عشقٍ تاريخيةٍ.

إني هنا أنظمُ الشِّعر مديحًا في قراراتِ الملك، وأكتب خطبة الجمعة لتمجيد وتأليه الملك، وأحترمُ رجالاتِ الملك وأشكرهم على إبقائي حيًّا بعيدًا عن التنكيل بأعداء الملك.

الحياةُ الهانئةُ ها هنا يا صديقتي السابقة تعني أن تعيشي دون موتٍ، أو أن تموتي دون حياةٍ، أو أن يتساوى عندك الأمران.

أظنك الآن قادرةً على اتخاذ القرار، أو تقبل القرار، ساعدتك كثيرًا... أليس كذلك؟

فقط لأني ما زلتُ أحبك، ولا أريد لكِ كثيرًا من الحيرة.

لا تُطلعي صغاري على هذه الحروفِ، مهما كان.

أخبريهم أني قُتلت في اشتباكاتٍ قديمةٍ مع أسلحة النظام الفائت، أخبريهم أني أحببتُهم، وأني أراهم من بعيدٍ، وإني اتخذتُ كل قراراتي لأجل أن يبقوا على قيدِ الحياة إلى اليوم الذي يستطيعون فيه تفهم رواياتك عني.

يا أسطورة حياتي الحية، يا رمزَ العنفوان النابض بالحقيقة، يا كلَّ ما تبقى لي من حلم أبيض، أتوسل إليكِ بكل اللحظاتِ الحلوة، والكلماتِ الحلوة، والتجاربِ الشاقة الحلوة، والنضال البِكرِ والهتافاتِ الحلوة، ألا تكرهيني إلى الحد الذي إن قابلتك يومًا في مصادفةٍ كونيةٍ، تتبرئين من وجهي تمامًا.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديثِ بقية.. ما دامتْ للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 11

هي.... صفيرُ قطارٍ يُوقظ أجنحة البلابلِ فوق رأسي عند حلولِ فجر الشتاء.... ويمتهن الجنوح إلى كلِّ غريبٍ...

السَّلامُ على الكون المُنمَّق بعشوائيةِ الإبداع على قسماتِ جسدك، السَّلام على خرائط الطبيعة التي أنتِ خطوط حدودها فاصلة بين العتمة والنهار، بين السَّماءِ والجبالِ، بين الموجِ وقرينه، وبين كل شيءٍ وحبيبه.

السَّلام على الشعورِ الذي تملكني حين اللقاء الأول، بأن من أحب دون أن يراكِ فإن عشقه منقوصٌ، ومن امتهن الجمال دون أن ينظركِ فإن إبداعه فقيرُ الجمال.

وإني يا حبيبتي أحببتُ الكثيرات، وعشقتُ القليلات، وارتبطتُ بالجميلاتِ ارتباطي بحروفِ الأبجدية، حتى إني ظننتني عالمًا في شئون قلوب النساء، وحين رأيتكِ أيقنتُ صدق ما قاله ضمنيًّا علماءُ السماء بأن الجمال ليس يبدأ وليس ينتهي، فقط يتجلى حين نستعد للفرحة.

وإني راجعتُ كل تاريخِ العشق في ذاكرتي حين أيقنتُ أنكِ حقيقةٌ كائنةٌ، وقررتُ أن أرتدي زي الباحثين عن الحقيقة.

كيف عشقتكِ هكذا دون أن أدري، ودون أن أهربَ، ودون أن أخجلَ، ودون أن أتعجبَ، ودون أن أواري

صيحاتي بأني عاشقك.

قررتُ أن أخترع جهازًا لكشفِ الحب، يُخبرني مَن كان عشقه وهمًا ومَن كان حُبه خيالًا.

لا تتعجلي، فلربما أردتُ فعليًّا أن أتيقن من حبي لكِ أنتِ، أن أتحرر من هواجس تنتابُ القلب بين دقةٍ وما تلاها بأن العشقَ مُهرجٌ كبيرٌ في سيرك التجاذب بين الأرواح، يتنقلُ ما بين الخيال ليقفزَ كل ثُوينة على حبلٍ جديدٍ يقوده إلى فرحةٍ جديدةٍ أو حتى وهمٍ جديدٍ.

اختراعي لا يحتاجُ إلى أبحاثٍ متقدمةٍ ومبتكرةٍ، إذ إن الجهاز موجودٌ فعليًّا، لكنه غير معروفٍ ولا منظور.

كل ما فكرتُ فيه، كيف أقنع ذلك الجهاز العبقري بالتجلي والإفصاح عن ماهيته وموقعه وتأثيره، وقبل كل شيءٍ وبعده، لا بد لي أن أكتشف كيف حالُ العاشق بروحهِ من دون جسده، الآن الآن، لا بد وأن أصلَ إلى الحبِ في مادته الخام اللاحيوانية، قطعًا يا عزيزتي، الأمرُ مُتعلقٌ بالروح، وقطعًا سبقني آلافُ الآلاف في البحثِ عن ماهيتها وحقيقتها، ولكني كما تعلمين عني، ولستُ أظنك تعرفين، فإني لا أعترفُ بثوابت، ولا أفقه المُسلمات، كل ما يجذبني إلى الحياة هو فعلُ الاكتشافِ، غير المُنتظر، غير المنطقي، المجنون المُتجنن إن صح التعبير.

رأيتُ الروحَ رائحةً، ورأيتُ الجسدَ قنينتها المُتعاقبة، والروح لا نراها، إذ تتوارى أمام العطر الآدمي المُختلق، تحجبُ أريجها لتُفسح المجال للزيفِ المُتهالك الموقوت، لتحتفظ بشبابِها آلاف الآلاف من الحيوات.

اعلمي يا صديقة قلبي بأننا اخترنا العيشَ دون أرواحنا، لأكثر من تسعة أعشار أعمارنا، ذلك أننا عادينا فطرتنا ولم نستطع إقناعها بالتزاوجِ مع تأملنا وآمالنا.

لكني رأيتُ الروح، أجل، أجل، رأيتها...

أعرفُ أنك تتلهفين لمعرفة تفاصيلها، والتعرف عليها ورؤيتها إن أمكن.

وأعرفُ أن الكلام هزلي، يُعده البشريون في مُجمله تنميقًا لسطورِ الأوراقِ الجافة، أو على أفضل تقديرٍ، خللٌ دماغي، وخلخلةٌ عقائديةٌ، أو جنونٌ لا يستحق، ولا يحتملُ النَظر إليه أو التعقيب عليه.

لكنكِ ستتحملين، وتقرئين، لأنكِ عرفتِ قبلًا بأني أمتلكُ في وجودك جوازًا بالمرور إلى كل شيءٍ، وعبر كل شيءٍ.

إني اكتشفتُ الروح عبر حاسة الشم، نظرتها في رائحة الجنين لحظة المرور من عالمٍ إلى عالمٍ، ومن حياةٍ إلى حياةٍ، ومن رحمٍ إلى رحمٍ.

يُمكنكِ الآن تُعقبها والتلصص على الآلاف منها، مع كل صرخةٍ جديدةٍ لمولودٍ جديدٍ، إنها رائحةٌ تمزجُ في تكوينها خليطًا من عطور الجنة والحياة والعشق، وقطرة مُصفاة من أريج الرب، تشتَّتت وتوزعت كخاتمٍ إلهي على أرواحِ هذا الكون وربما كل الأكوان.

قفي يا عطر روحي على حافة وليدٍ حديثِ العهد بالهواء، وتلصصي الشمَّ من كل مسام جنبات جسده، وارو دخائلك قدر ما تستطيعين من نهم التحقق، وتشبثي بذاكرة الرائحة في أحشاء قلبك وعقلك.

واعلمي إنها بدايةُ الحقيقة، واعلمي أنها تتخلى عن الرضيع يومًا فيومًا، بفعل تجاهلها وإهانة قدسيتها بمزجها بسوائلنا العطرية البشرية التي تُعجل من استقدام الفناء أو الانتهاء.

واعلمي أنها تظل مُتشبثة بأجسادنا قدر ما تستطيع من مقاومةٍ لجهلنا، حتى أنها لا تنتهي من أعماقنا، إلا أنها تختفي تمامًا تمامًا لحظة الوداع والمرور إلى عالمٍ آخرَ جديدٍ، فتظهر مرة أخرى لتُشرق من جسدٍ جديدٍ، بكاملِ عنفوانها، ورونقِها، وأبهتها المُقدسة.

وإني تطرفتُ قليلًا، فجردتُ رضيعًا من كل ما علق بجسده من قطراتٍ سائلةٍ، تمامًا لحظةِ انفصاله عن كونه المُستدير، إلى كونه الجديد المُتصندق، وعبأتها في قنينةٍ أسطوريةٍ جاذبةٍ، مُفرغةً تمامًا من الهواء بداخلها.

ووضعتُها في مُختبري، على منضدةٍ بيضاويةٍ، قابعةٍ أمام نافذةٍ تُطل على بحرٍ، من وراء حوافه جبلٌ، على جانبيْه غروبٌ وشروقٌ يتعاقبان، ومن حوله نبتٌ كثيفٌ لصبَّارٍ مُتلهفٍ للعشقِ الأصيلِ.

جلست أمامها مباشرةً، أشاهد ما لم ينتبه قبلي بشرٌ ليُشاهده، إنها أخيرًا أمامي، أو جزءٌ منها على أقل تقدير، قدسيتها تجتاحني بالإيحاءِ، ورهبة التفكير في مكنونِ الحدث أنساني ذكرك يا حبيبتي للمرة الأولى في عشقي.

حدَّثتها قليلًا، سألتُها كثيرًا، وتضرَّعت إلى الرب أن يمنحني سرَّها، فداهمني النُّعاس، وظللتُ نائمًا ما بين ليلةٍ إلى ألفين، وانتبهتُ لذاتي مُستفيقًا على صرخاتِ ريحٍ، واستنجادات موجٍ، ودموع سماءٍ ماطرةٍ، ونباح كلبٍ لستُ أدري من أين جاء.

وبحثتُ عنها فلم أجدها، اللهم إلا قنينةً أسطوريةً جاذبةً، مُهشمةً جوانبُها، تفتتت جدرانُها إلى حبيباتٍ زجاجيةٍ لا تُرى منفردةً بالعين المُجردة، تشكلتْ على سطح المنضدة على هيئةِ عينٍ بشريةٍ فارغةٍ.

تعاظمتْ ظنونُي....

إنها روحٌ حقيقيةٌ، وإلا لماذا هربت؟ ولماذا انزعجت الفطرةُ وتأوهت الطبيعة؟ ولماذا تغيبتُ أنا عن المشهد؟

أيقنتُ أن الروح ليست تتقيد، وليست تعرف الاستكانة، إلا في جسدٍ ينبضُ عشقًا.

وأيقنتُ أيضًا أنها تغدو ذهابًا وإيابًا من خلال العين وعن طريقها.

وأراكِ تتساءلين عن علاقةِ كلِّ ما سبق باختراعي الجديد...

سأخبركِ سرًّا عظيمًا يجمعني بكِ منذ اللقاء الأول، أني شممتُ رائحة الأجنة حين احتضنتك، وهذا يكفيني لأثبت وجود الحب، وأقيس مداه.

انقلي عني يا رفيقتي اكتشافَ عاشقٍ مُتفكرٍ:

"مَن رأى منكم رائحة جنينٍ تنبعثُ من محيطِ إحداهن من وراء ستار، فليعلم بأن جهاز كشف الحب بدأ عمله لتوه، وبأن مؤشر العشق بينه وبينها يستحضرُ روحين كامنتين في مخبئِهما الجسدي حتى تتعانقا فرحتيْن بميلاد العشق، ذلك الذي تطرب له السماوات، وتقتات الطيور المُغردة على وجودهِ حتى تستمر دون انقراضٍ".

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديثِ بقيةٌ.. ما دامتْ للقلب هويةٌ.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 12

هي .... مَن أعادتْ لطفولتي براءتها.. ولعينيَّ طلاءهما اللامع ولقلبي نبضَه المسلوب.

السَّلام على الإله الواحدِ، السَّلام على مَن خلق ذرات القلب المُضطربة، على مَن جعل ترياقها دمًا يفورُ ويتجدد، السَّلام على الهواءِ لا نراه، وعلى النور لا نتلمسه، وعلى الحبِّ غير منظورٍ ولا محسوسٍ، فصارت قدسيته في أن الإيمان به من فعل تدبر أثره، تمامًا كما آمن الإنسانُ بوجود الرب.

وإني أمتطي الآن طائرةً تُطل على الأرضِ من بعيدٍ بعيدٍ، تجوبُ دروبَ السماء في أُبهة الواثق، ظننتني في بادئ الأمر أقتربُ من الله أكثر، وأبتعد عنكِ أكثر، ولما رأيتُ السماء تتباعدُ من قبلها سماوات ومن بعدها سماوات، ولما رأيتُ الأرضَ تأقزمت بفعل عمق الابتعاد، رأيتُ الحب كائنًا يتكاثرُ في حيزه الكوني، إذ تتعملقُ الذكرياتُ والصناديقُ المُعتقة المُعبأة بالنبضِ العاشقِ المُخزَّن بيننا، لتصنع عوالم حقيقية لا ينقصها سوى كونٍ مُنفردٍ متفردٍ بحجم كل قلبٍ عاشقٍ.

هل أخبرتُكِ قبلًا بأنكِ تُشبهين لحنًا إفريقيًّا نافرًا، هل أخبرتُكِ قبلًا بأني أحترمُ الطبلة الإفريقية، تلك التي تقتربُ من طبيعتنا بأكثر مما تحلم بقية مسببات النغم في كوننا، ذلك أن الأرضِ، كل الأرضِ طبلةٌ كبيرة.

نستطيعُ الدقَّ على الأشجار، على الجدران، على أسطح الأبواب والآلات، على النباتاتِ العملاقةِ، حتى بطوننا تمتهن الموسيقى الإفريقية حين نمزح على سطحها بعد وجبةٍ دسمةٍ وماءٍ وفيرٍ.

الطبلة يا موسيقاي هي مصدرُ الإيقاع الوحيد الذي لا يحتاجُ إلى صنيعِ البشر لكي يتأجج.

أنتِ طبلةٌ إفريقيةٌ عريقةٌ، تُغرد بصيحاتِ العشقِ الزاعقة في غاباتِ السماء الضبابيةِ، هكذا تخيلتكِ مُبتسِمًا بينما أحدق من نافذةِ الطائرة محاولًا اختراق الغيب من فوقي ومن تحتي، كوَّنت من حدود التقاء

السُّحب خطوطا حقيقية ارتسمتها أمامِ عيني، ورأيتَ الخطوط ترسمِ ملامح وجهكِ على سطح بطن السماء، وتمنيتُ لو أطلت مد أناملي لأطرب السماوات بلحنٍ غجريٍّ قادمٍ من غيابات ثورةِ عاشقٍ.

آآآآآآآآآهٍ يا كل ألحانِ الموسيقى العبقرية في ذهني، هل كنتُ أحتاجُ لأن أُعادي الريح لآلاف آلاف الأميالِ حتى أشعر بافتقاري إلى الحياةِ من دونك، ولافتقارِ الآدمية إلى الطمأنينة والأمان مع كل فعل هجرٍ أو فراقٍ.

ياااااا أيتها الرائعة حين تضحكين وحين تصرخين وحين تتألمين، تنامين، تُقبِّلين، تستيقظين، تأكلين، تعزفين، وحين تُعاتبين، تكتبين، تقرئين، تهمسين، وحين تطهين الجمال طهيًا، تُلاعبين القطط، تُمازحين جامع القمامة، تصنعين كوبًا من القهوة المُعتقة، تُشجعين فريقَ الكرة الإسباني المُفضل، وحين تغتابين النساء الأقل جمالًا، تُداعبين جبين الورود، تُمشطين خصلات الشجر الحريري فوق رأسك، تُبارزين السماء بالدعواتِ الصامتةِ، تُشاهدين أفلام الضحك الكرتونية على التلفاز، وحين تُبدعين نصًّا جماليًّا لأدبٍ قصصي يأتيكِ وحيُه ما بين عقدٍ وضُحاه.

ياااا أيتها المُلهِمة المُلهَمة وأنتِ تُوارين ابتسامتك العاشقة الآن بينما تستمعين أو تقرئين رسالتي.

هل اعترفتُ لكِ قبلًا بأني أتهرب من الظهور أمام الناس برفقتك؟

مُتفهمة أنتِ لغروري وتحترمينه، وتعرفين أني لا أرتضي بأن أكون ثانيًا أو وصيفًا، فكيف أرافق مَن ينتبه الناس لوجودها أكثر من انتباههم لوجودهم.

أنتِ جميلةٌ أكثر مما يستحق الجمال، ورائعةٌ في كل شيءٍ، إلا من شيءٍ وحيدٍ... إنكِ لا تكترثين كثيرًا لرسائلي، لا تقرئيها كما يجب أن يستقبل معشوقٌ أريجٌ عاشقه، تؤصلين للهجر ليستمر القلم في نزفه، تعلمين جيدًا أن الرسائل لا تنبت مع الوصل، وأن القلم لا يخط حرفًا لحبيبةٍ تُشاركه وسادته، فقررتِ الخلود على السطور، زاهدةً في الخلود على فراشِ القلب.

يا مصنعًا للعطر المُصفَّى، ذلك الذي يُميز الروح ولا يتميز عنها، لا أخشى على كليْنا من بُغض الهجر بعد الانتقال إلى العالم التالي، فعطرانا سيتقابلان حتمًا ليعُدوا عُدة لقاءٍ أبدي بين روحيْن.

أتعرفين؟ لقد مررتُ بأعجب لقاء منذ سنواتٍ على تلك الأرض التي أطير إليها الآن.

قابلته عجوزًا غير مُكترثٍ لصقيع ثلجِ "كانون الثاني" الروسي، يحتمي بقلعةٍ ملونةٍ كألوان بيوت الأساطير، أخبرني هامسًا بإنكليزيةٍ ركيكةٍ "ستكونُ سيد أرضك".

قطعًا لستُ أعتقدها نبوءةً، ولم أتخذها على محملِ الجد، وحتمًا أنتِ لن تُخبري الحاكم بهذه التفاهات، ولكني سأصدقكِ القول، إني أحترمُ الخيال، وإني من أعظم مُريديه، فكان لزامًا غرس مقولة العجوز في أرضِ الخيال الخصبة، لتنمو زُهيرةٌ من عبثٍ، يتحول مع نضج الخيال إلى وهمٍ، ثم ربما إلى إمكانيةٍ وربما إلى إعجازٍ خياليٍّ حصري.

ولستُ أدري يقينًا ما الحكمةُ القدريةُ لجعلي أسافر مرةً ثانيةً لتلك البلادِ البعيدةِ، وسوف أصدقكِ القول إني أنتوي زيارة البيت الملون مرة أخرى، نعم... نعم...، سأبحثُ عن العجوز، سأخبره أشياء اختزنتها في خيالاتي لسنواتٍ، وعكفتُ على إنمائها فقط لأحيا دون مللٍ.

هل تعرفين؟ لقد جعلتُ منكِ سيدةً أولى، نعم... نعم... أنتِ أنتِ السيدة الأولى.

ولِمَ لا، فأنتِ أول من ارتجف القلب فرحةً لعشقها، أنتِ أول من تذوقت معها طعم الشعور بأن الحياة ربما

كانت مُبهجة في بعضها، أنتِ أول كلمات الحب ومُنتهاها، أول النور وآخر العتمة، أول عنقود السماء الواصل بينها وبين الأمنيات وبين العاشقين، أول حروفِ الأبجدية وتعريفها بألوان التجلي، أنتِ يا حبيبتي أول الخيال وآخر الوهم ومُبتدأ الوحشة للفراق.

لقد وجدتك في الحلم المُصطنع المُتكرر تجلسين جواري على عرشٍ يتوسط بهو القصر المُلون، تنتعلين فوق رأسك تاجًا من نورٍ يتلألأ، تبتسمين بثقة الجميلات من الملكاتً، تصفين البسطاء على جانبيْ العرش فوق أرائك وكأنًها عروشٌ مُصغرةٌ، تتقاسمين معهم أبهة الجمال والملكوت.

تكتبين على عقولِ الصغار... "العدل... العلم.... القوة..... بالحب".

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ.. ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 13

هي.... ذكرياتُ الضحك... أداومُ تدوينها في برديات الطفولةِ.

السَّلامُ على الموسيقى، غناء السماء وبوْح الأرض. السَّلام على ترانيم الحُلم الدنيوي الباهتِ المُباغت، السَّلام على الفناءِ الحتمي المخلوق عمدًا لأجلِ ميلادِ الخلود.

السَّلامُ على عقلانيةِ العشقِ وجنون العاشقين، على استلطافِ العين للجمال، واستحسان القلب للنور، ومصادقة العين للون الأبيض. السَّلامُ على قيمةِ القبح وعمقِ العتمةِ، واختراق اللون الأسود لكامل مكنونِ الذكريات والتاريخ.

السَّلامُ على نظرةِ العين للعين انبهارًا وتجاذبًا، رباطًا إنسانيًّا يتقدس لأجل أن يمنحها الخلود في فناء ناظرها.

وإني يا سيدة القلب....

خائفٌ من الحنينِ، من الألمِ، من الأرقِ، من كوابيس تخترق الغفوة، من نواحٍ على فقدٍ.

مُشفقٌ عليَّ من تراتيل الأمل، من سحاباتِ الدموع، من شعورٍ بالندمِ، من جَلدِ ذاتٍ مفرغةٍ من ذاتِها

لذاتِها.

أشتاقُ إلى حبٍّ جديدٍ،عشقٍ قديم، مقارنات بينهما في الخفاء لا ترقى لأن تحيا كالكلماتِ.

أتطلعُ إلى نورٍ على حافةِ الورقةِ, يتوغل في عمقها, يفتعلُ الحياة في الحرف الوليد باستقطابِ النبضِ من انبهار العين.

ألفظ قيدًا يُكبل ما بين العقلِ واللسانِ واليديْنِ والقدميْن ويترفع عن اعتقالِ العين والأذن والأنف والفَرج؛ قيدٌ يعرف تمامًا توظيف قوته.

أُعاني من نزفِ شرخٍ عتيقٍ, على جدارٍ يُواجه تابوت النوم, تشَّرب دماءٍ الوجع ونظرات التأمل في حضرةِ القهر والمرارَة عبرَ السنين حتى بات يُشكل مع كل إفاقةٍ تفصيلةً جديدة لملمحٍ جديدٍ لمعنى يتراقصُ غامضًا, فصار تشفيرُه كتفسيرِ الأحلام وتأويل الرموز.

أتردد في اختلاقِ الحلم, وربما رهبةً من استجدائهِ؛ فالحلم إذا استحال صار كابوسَ حياةٍ.

أمتلكُ حيرةً بحجمِ السراب, وطموحًا بامتدادِ اللانهاية, وحنينًا للفجورِ يتحطم على عتباتِ تأمل النهايات.

أتشبثُ بطفولةٍ في القلب تقتاتُ من فُتات التجاعيد على ملمسِ الوجهِ، تسقيها دموعُ القُرب من الفناءِ, وخلودًا على السطور لا يجدُ من ملمحٍ للخلودِ سوى التدرُّع بالصامدين في مهبِّ الزيف.

أمتهنُ وقتيًّا زحفًا حثيثًا خلف فعلِ الاكتشاف, مصير الاختلاف وأثر الصمت على السُّكون.

اللهم إلا بعضًا من فقرِ العقلِ, من ركودِ الدم, من جمودِ الحُلم, من يأسِ الأملِ, من تفحُّم الكرامةِ, مِن هوان النفس وذبول الحلولِ.

اللهم إلا بعضًا من جليدٍ أسود يتساقط على عتباتِ الحزنِ...

أعكفُ حاليًا لجمعهِ لأصنع منه تمثالًا لليل الشتاء.

اللهم إلا أنا..... ودموعي...

وعفوًا كراسة رسم أحتفظ بها منذ عقودٍ, رسمتُ على صفحةٍ فيها وجهًا وحصانًا وسيفًا ورايةً..

ونقشتُ في قاعِ براحها عنوانًا ونشيدًا.

غير هذا وذاك أؤكد لكِ أني لم أعثر على شيءٍ آخر يسبحُ الآن بأحباري، سوى رجائي لكِ بأن تتجلي لي في كل وقت، أن تمنحيني بوجودكِ القوة بأن أُحاربَ كل تلك الأفكار والمتاهات العقلية المُريبة.

امنحيني صكًّا بالنجاةِ، فقط حتى أستمر في عشقك من بعيدٍ.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية.. ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 14

هي..
سماءٌ أهجرها حتى يحين الحين لأتقلد يومًا أجنحةً من عصارةِ الحُلم تمنحني فرصةً في القرب أو الاقتراب.

السَّلامُ على بريقِ الأملِ الصامد رغم كل هذا الزخم من الانهيارات.

السَّلامُ عليكِ يا جزءًا أصيلًا مُتجذرًا فيما تبقى من صمودٍ.

السَّلامُ على المُبهجاتِ الصامداتِ في وجهِ القُبح.

وإني نافذٌ إلى أحشاء الحياة، أُناجي أملَ الخلاص ليتمثلَ للناس بركانًا من نورٍ يحرقُ الزيف والظلم والضبابية المُغلفة بقهرِ الحب.

وعندما تتزاحمُ الدوافعُ والأسبابُ ومتاهاتُ الفِكر, وتتملكني رهبةٌ ليست تعني الخوفَ, وبسمةً ليست تعرفُ الفرحة, ودمعةً تُجهضها بقيةٌ من تطبع بناموسِ المُحيط، أنتعلُ الذهول، وأمتطي بعيني وجوهَ الناس.

الحيرة منهم وفك شفرتِها على وجوهِهم.

في كلِّ خطوةٍ حكايةٌ.

لوحةٌ تجمعُ بين واحدٍ وظلهِ، أو واحدٍ وآخر، أو جمعٍ يتجانسُ في بعضهِ ويتنافرُ كل الوقت.

لوحاتٌ تتلوَّن بلونِ الطيبةِ وأخرى بلونِ الشر وأكثرها بلونِ القهر.

شوارعُ ككراسةِ الرسم التي عشقتُها صغيرًا بيني وبيني, وكرهتُها بيني وبين الناسِ.

أسيرُ فيها متأملًا ممشوقَ العين, فرِحًا بحضارةِ الأوراقِ البيضاءِ, وبياضُها هو كل تاريخِ حضارتِها.

فعندما لا تستطيعين يا حبيبتي تشكيلَ حضارةٍ بذاتك فكوني دومًا في نقاءِ جاهزيةِ التلقي.

وجدتُني مُتطلعًا باشتياقٍ لأن أرسمهم, أمنحهم وجوهًا بتضاريس صمودٍ تمنيتها في وجهي, وحناجر تهتزُّ لزئيرها جلودُ الطبول.

قمةُ الأنانيةِ..... أعلم.

أردتُ أن أمنحهم ملامحَ أكثر شجاعةً، أُلونهم بألوانِ القيمةِ والثباتِ والعزةِ.

أردتُ أن أصيرَ فارسًا على قمةِ النصر, أقودُ الجيوشَ بفرشاةٍ أستلها على وريقاتِ كراسةِ رسمٍ.

أسترد عليها العشق..... والوطن، أُصلي للرب على ملمسها صلاةً تتقاسُمها شعائر كل الأديان.

أكتب على جنباتها كلمة عدل..

أُحرر فيها لقمةَ العيشِ وأهب المطحونين حدَّ الكفاف، أحكم بالحق, وأمنح كل المرسومين الحرية.

أرفعُ جباه الناسِ لتعتلي حدَّ السَّحاب، أنقشُ بكل خطوط العربِ والعجمِ حروفًا تتشابكُ لتصنع معنىً أكثر قيمةً مني ومن الحرفِ ومن الورقةِ والفرشاةِ.

الفرشاة تكحل ال- (لا).... في وجهِ السواد...

وتزين ال- (نعم).... في وجهِ الحب...

أين السَّوادُ؟ وأين الحب؟

السَّوادُ في الظلم والحب في العدل؟

عفوًا.... السوادُ فينا والحب فينا وعلبة الألوان تقطن ذراتنا.

نحن مَن ننتخب الألوان لتفاصيل حياتنا, ونحن مَن نقبلها أو نُعرض عن أيٍّ مما في أحشائها.

أحتاجُ لآلافِ الآلافِ من كراساتِ الرسم..

أحتاجُ لتدوينِ ملايين الملايين من الضحكاتِ والدمعاتِ والصيحاتِ.

أحتاجُ لتأريخِ نبضِ الثائرين, استفاقة المغيبين وتمرد المُكبلين وضعفاءِ الحاجة والعوز.

أعتذرُ منكِ إن كنتُ تجاوزتُ حدودَ اللياقة في حضورِ الجمال المُصفَّى، أعتذرُ منكِ إن تململتْ كلماتي زاعقةً في حضرةِ البراءةِ الساكنة.

وأنتِ يا سعادتي، كل المُبهجات الصامدات في وجهِ القبح.

(اكتبي معي نهاية لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).
وللحديثِ بقيةٌ.. ما دامتْ للقلب هويةٌ.
#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 15

إنها تمتلكُ سرًّا الكثيرَ من الحب، وتمتلك سرًّا متسعًا من ضواحي القلب... إنها تمتلكُ الحياةَ سرًّا وتحتضنِ الموتَ جهرًا، فلا تقوى الأولى على التحكم فيها، ولا يجرؤ الأخيرُ على العبثِ معها. إنها تمتلكُ النور سرًّا، وتأوي العتمة جهرًا.. فيعشقها الأول، ويرضى الأخير بحاله كونه في كنفها. إنها الحبيبةُ والعظيمةُ والمُنيرةُ وبئر الحياة العميقة.

السَّلامُ على الصعاليك وأنا منهم، هؤلاء الذين يُحولون عشقهم لأداةٍ من أدواتِ التقرب للعبث، كقربانٍ للتودد للوحدة، كمغناطيس جاذبٍ للتعلق بالأشياءِ والتفاصيلِ التي لا يلحظها العوامُ.

وإني أهوى العشوائيةَ في اختيار أساليب العيشِ، في التجول بين المقاهي والطرقات.

أنتفضُ من وهم الشوارع قاطنة الأوراق..

أهرول في الطرقاتِ الحيةِ... أنتخبُ الليل ليكون دليلي, أعتذرُ للسماء على التأخير, ألمحُ كما اعتدتُ منذ صغري قلمًا يستديرُ مع اكتمال القمر في منتصف السماء.

القلمُ لا يزال علي وضعيتهِ منذ أن وعيته أول مرةٍ, ينحني راكعًا في خشوعٍ للرب, بينما يدَّعي العُلماء أنه صخورٌ متجاورةٌ.

أقسمُ أنه قلمي, تدمع عيناي حينما ألقاه, وعقلي وقلبي يخرَّان رُكعًا سُجَّدًا بينما تتصعلك قدماي في الأرجاء، والحياة عندي يا معشوقتي ليست كما تتوهمين، دائمًا أنظرُ للأمام حتى أستطيع الالتفات في الوراء لحاضري، فأراه بعين التقييم لا التعايش.

أجلسُ هناك علي الرصيف.....

لا تسأليني سؤالًا لا يليقُ عن هوية الرصيف.

الأرصفةُ هي الأرصفة، حُراس الشوارعِ ونُظار العيان على هوان الناس وصعلكة الضمائر.

أنظرُ حينًا في مستوى خط إبصار عيني جالسًا, أتفحصُ أقدام المارة.. تلك التي تشكلت مركباتٍ إراديةً أحيانًا, ولا إرادية أحيانًا أخرى.. تجاه العبث أو الفناء.

أقدامٌ تمتهن التعامل مع الأرضِ حتى تُتيح الأمل لعقولٍ توجهها أن تستكشف جدوى وجهتها من أخبار السماءِ. .....

لمحتُ قدميْه..

باليتيْن في هِرم مومياوات الأجداد, ملطختين بدرجةٍ من سواد الصدأ.

والصدأ يا سيدتي صِنفٌ من صنوفِ الموت, شأنُه شأنُ الذبول, شأن التفحم, شأن الركود والاستسلام.

في الواقع كل ما سبق قد يكون فعليًّا صنفًا من صنوفِ استجداء البقاء.

زوجٌ آخر من السيقان يقتربُ, الزوجُ يرتدي بنطالًا يمتهن السواد، يشي برغدِ السعي, ويدب على الأرض بحذاءٍ من جلدِ البشر يُظهر بفخارٍ جبروتَ السلطة.

لستُ أدري هل توقف أمام الباليتين عمدًا أم أن هناك ما أجهله في أعلى حيزِ إبصاري دفعه لتوقفه.

لحظاتٌ وتحوَّل المشهدُ إلي عِراكٍ في ساحةِ وطءِ الأقدام, شيءٍ شبيهٍ بالبصقِ كان من نصيبِ الصدأ.

تلاه ازدراءٌ, تحرشٌ, ركلٌ من جانبٍ وصراخٌ من آخر.....

حتى الصدأ لم يستطع أن يقهرَ الألم أو أن يقنعه بألا يُزاحم الموت.

سيقانٌ عاريةٌ إلا من أنوثتها تُزاحم عيني في مصبها, تهيل التراب على الصدأ.

يحتضنها زوجُ البنطال الأسود ليقيها بعثرة التراب على عريها.

فم الصدأ يقتربُ من حذاء الجبروت, يتوسل مُقبلا تراب نعليْه.

والحذاءُ ينهر وجهه ركلًا, والصدأ يُعاود الاسترضاء, والحذاء يُعاود ركل الفم والوجه والصدأ.

وأنا أنظرُ للوجهِ المسحوقِ.. أبكي.. وأبكي..

أصرخُ فيه... "كفاااك", لا تهنْ, ارفع فمك, أنقذ وجهك, تدثر بما بقي من صدأ الحياة أو تقبل الموتَ كاملا.

أصرخُ في الجبروت... "كفاااااااااااااك", تقبل استرضاء الموت, ارحم, اغفر, تحت صدئهِ جسدٌ كجسدِك, في فمهِ الزاحفِ على نعليك لسانٌ كلسانك, في سمائِك وسمائِه ربٌّ يُمهل ولا يُهمِل.

هل أقتحم العراك؟

ولكن ماذا بوسعي أن أفعل؟ هل أقتل الجبروت؟

هل أنقذ الوجه المقهور بحمله إلى أعلى حيز الإبصار؟

هل أُزيح الصدأ من على السيقان لأمنحها أملًا جديدًا في امتهانِ صفةٍ أخرى للحياة بدلًا من مرادفاتِ الموت؟

هل أمزحُ مع الجبروت؟ أم أناطح السلطة؟

وماذا إن كان الصدأ مُخطِئًا؟ ربما غازلَ سيقان فتاةِ السلطة العارية؟

وقاحةٌ بكلِّ تأكيدٍ.

ولكن لماذا لا يُغطي الجبروتُ سيقان فتاته حتى لا ينهشها الصدأ؟

مهلًا حتى ولو كان الصدأ مُدانًا, ألم نتفق قبلًا على أن الصدأ صنفٌ من صنوفِ الموت؟

هل ستعذبون الأشباح؟

هل ستعتقلون الموت حتى تقتلوه؟

جلستُ للحظاتٍ على أريحيتي المُسبقة في التعامل مع السيقان, ولكني الآن لا أقوى على الاكتفاء بدورِ الخشب الراكد والماء المتفحم.

لا بد وأن أستقطب أنفاسًا من عبقِ الحياة، لا بد وأن أُقنعني أني لستُ قدمًا بلا وجهٍ، أن أتذكر أني بشرٌ.. وللبشر عيونٌ كما أن لهم أقدامًا.

حملتُ قدميَّ بعينيَّ، ربما تحملني لوطء الأقدام محل النزاع.

أرى قدميَّ لأول مرةٍ في حياتي, يصفعني الواقعُ.

قدماي صدئتان بلونِ الباليتين..

انزويتُ متفحمًا ذابلًا راكدًا مستسلمًا, إلى أن ظهرتْ بقربي ساقان عاريتان رأيتهما لتوِّي, العاريتان تنزعجان من مظهري الصدئ، تُبعثر الترابَ على وجهي.

فتنهال بغتةً عليه بصقاتٌ وركلاتٌ من ساقيْن تلتحفان بنطالًا بلونِ القهر, ترتديان حذاءً من جلد البشر..

فانحنيتَ بفمي مُقبِلا حذاءه مُسترضيًا.
ولا تزال بعضٌ من دموعي مخلوطةً بلعابِ الاسترضاء عالقةً على ملمسهِ.

.....

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).
وللحديثِ بقيةٌ.. ما دامتْ للقلب هويةٌ.
 # كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 16

هي.... من ابتنيتُ لها في دخائلي قلبًا جديدًا حتى لا تصطدم بذلك الذي أنهكه الحزنُ والارتطامُ ببؤسِ واقعهِ. رصعتهُ بكلماتٍ ليست كقديمِ الكلمات، وبدمعاتٍ لا تنتحرُ في منبتها خشية الهوان على الناس.
قلب يغضُّ الطرف حتى يغفرَ، ينسى حتى يُسامح، يشتاق إليها في وجودها، يبتسم لثورتها ويمتص في شراييِنه جنونَها.

السَّلامُ على فعلِ التخلي، على ثقافةِ الاستغناءِ، على النفورِ من التعلق بقلبٍ راحلٍ لا محالة.

السلامُ على هؤلاء الذين امتلكوا مصائرهم بعقولهم، فقرروا عداوتهم للحب.

وإني مُستمر... أحاول أن أستمر.

رغمًا عن كل ألوانِ الوجع، رغمًا عن كل الأحلامِ المُهدرةِ، رغمًا عن إدمان الإصابةِ بآلامِ الحب الكئيبة.. فإني مُستمر.

وضعتُ إستراتيجيةً جديدةً لتعاطي الحياة، أول بنود قاموسِها الزُّهد في التعلق بما تلوَّن يومًا بصبغةِ الفناء، ولأن الحياة ذاتها أكبر رمزٍ للعدم، من قبلها عدمٌ، ومن بعدها عدمٌ، فقد قررت أن أتعامل معها بقوانين النفعية والانتهازية المكيافيلية الرديئة، لا مجال للاستسلام لنظرياتِ الخيالِ الضمنية عن خلودِ فعلِ الحب أو مظهرية الجمال ومسبباته.

أفكرُ جديًّا في ابتكار قالبٍ/ أسلوبٍ/ مصطلح جديدٍ للعشق، سوف أراعي فيه عدم اعتماده كليًّا على المتعة، ربما يتكئ في معظمهِ على مفهومِ الجمال المُسبب لأنواعِ التمتع حتى ولو كان زائلًا بالحتمية.

فالتعلقُ بالجمالِ أفضل كثيرًا من التعلقِ بالجميل.

يا جميلتي... مهلًا لا تنفري من الكلمات الآن، تحملي شرودَ القلب المُصفَّى من دمائه، شاركيني فعل التجريب حتى مع إمكانيةِ الفشل الأرجح، ترفعي عن مفاهيم الامتلاك الزائفة، لأنه وببساطةٍ لا يوجد امتلاكٌ حقيقي على أرضِ الحياة.

سأعترفُ لكِ الآن بأني بدأتُ منذ وقتٍ قصيرٍ بداية رحلة العلاج من غريزة الامتلاك البشرية.

سوف أصلُ إن نجح الدواء إلى تقبل الاستمتاع بوجودِ الجمال في ذاته، ودعمه إن امتلكت مقومات إنمائه حتى تتسعَ بقعةُ أثره على مَن يُؤمن بالجمال الجمعي. أعترفُ أن لقاءنا الأول كان نموذجًا مثاليًّا لأعراضِ الأنانية المُفرطةِ في امتلاك الجمال بكل ألوانِ الأنانية الآدمية المتعارف عليها.

يومها رأيتُ الجمال في عينيكِ نورًا سماويًّا مُهذبًا يسطعُ على استحياء من نتوءاتِ جبلٍ ساحلي لحظة شروقِ شمس الشتاء الخجولة.

رأيتُ الجمال على شفتيكِ المُغتربتيْن يُلهب ذراتِ الهواء الفاصلة بينها وبين الناس حين تُقرر منح الجمال قبسًا من التعريفِ بأسرارِ ما وراء السماوات.

رأيتُ الجمالَ في خيوطٍ من حريرِ أشجار الجنة تُزين رأسكِ وتدعوا المؤمنين لتذوق خيال مكافأة الإخلاص للتوحيدِ والاعتقاد.

رأيتُ ملمحًا للسعادةِ حين ابتسمتِ، وملمحًا للخلودِ حين التقت عينانا لثوينةٍ أو أقل، رأيت وجهكِ مطبوعًا على صفحةِ عينيَّ حين نظرتني في المرآة صبيحة اللقاء الأول فأدركت لحظتها بأنكِ رسالةٌ، وبأنكِ مصباحٌ، وبأنكِ مكافأةٌ.

يا مكافأتي على التنقيب عن الجمالِ، سأبحثُ عنكِ في حضورِ كل نساءِ الأرض، فقط لأمنح الخلودَ للجمال قدر خلودي بالحياة.

إني قررتُ أن أتعامل مع اللانهائية بمقدارِ الحضور وفقط، لا يعنيني ما كتبه كتابُ التاريخ الثرثار قبلًا ، وليس يعنيني ما سيخطه بعدي، يعنيني فقط تأريخي الشخصي لخلودي، وإن كان ساعةً، فالزمنُ مُسخَّرٌ لما نعتقدُ ونظن وليس لما نتخيل ونحتسب.

لا ألومكِ إنِ ظننتِ بأني خائنٌ للعشق يتلاعبُ بالكلمات ويُطوعها بحثا عن تزيينٍ وتنميقٍ لمفاهيم الخيانة. رفقًا يا صانعة الخلود، فمبرراتُ الخيانة متجسدةٌ بوضوحٍ في قواميس البشر الدارجة، يمكنني الرجوع إليها واقتباس الملائم منها في أي وقتٍ من دون الاجتهادً في التفكر أو المراوغة، كل ما أستطيع أن أعدكِ به، أن تكوني حبيبتي ومنجم الجمال الأوحد لقلبي إن تقابلنا بعد الفناء الأول والميلاد الثاني.

سوف أستقبلكِ هناك بأسطوريةٍ تليقُ بالأرواح الباعثةِ على الجمالِ. سوف أجمعُ لأجلكِ كل ورودِ الروح وكلماتِ الغزل وثناءات العشق، سأمنحكِ مقطوعةً جديدةً لموسيقى لم يألفها الآدميون، تجعل من الإدراك الضمني المُحتجب بدخائلكِ حِزمةً نورانيةً من سعاداتٍ كبيرةٍ ممتدةٍ، تصلُ ما بين العوالم، فتمنح الأرضَ، كل الأرض، نصيبَها من الجمالِ والسعادةِ والحب.

ياااااااااا كل الأمل في سعاداتي بعد الفناء، امنحيني وعدًا روحيًّا باللقاء هناك.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ.. ما دامتْ للقلب هوية.

 # كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالةُ 17

هي..

أكثر نساء الدنيا رنينًا في أذني وبريقًا في عيني، ونورًا في ظلمتي.

- أعرفَ أني لها كما أرادتْ هي أن أكون، لكن من منا ممن يرتاحُ لدفءِ الشمس ينتظرُ بأن تَبادله الشمس ذات الرغبة في القُرب فتقرر ألا تغيب عن دنياه لأجله.

مَن منا وجد في قرصِ القمر ضالته فيُحادثه في جوفِ الليل ويُطالب القمر بأن يتخلى عن دورةِ الرحيل.

السَّلامُ على كل مَن قرأ حرفًا من رسائلي. السَّلامُ على مَن تحمَّل قعقعة الحروفِ وبهرجة المعاني. السَّلام على من تفادى المللَ آملًا في التقاط أنفاس قلبٍ مُعطلٍ. السَّلامُ على كل حماقاتِ العاشقين، وكل بذاءات العاشقين، وكل نداءات العاشقين، وكل الذكريات، وكل القُبلات، وكل الوداعات، وكل الأقمار والشموس والنجمات التي تُشرف على رسائل القلوب الأديبة.

السَّلامُ على النقاط الملونة، والألفات واللامات المُعنْونة، والفتَحات والكَسَرات المُهذَّبة، واللاءات المانعة، والواوات العاطفة.

السَّلام على حروفِ اسمكِ، حرفًا حرفًا يا بهية الحرف، وعينًا عينًا، يا جميلة العين.

وإني أُعلمكِ يا عزيزتي بأني ما زلتُ على سذاجتي القديمة، لم أبرحها ولم تبرحني، أتذكر جيدًا وعدي لكِ بإنهاء علاقتي بمفهوم الوطن في قلبي على نحوه السابق، وأن أتحرر تمامًا من كل القيود التي كبلونا بها صغارًا لنُقدس أرضًا لا تُدرك أننا على سطحها من الأساس، ونحتفل بصناعةِ الموت فقط لأننا لسنا ضحاياه اليوم... اليوم فقط.

لقد وجدتني مُتلبسًا بالبكاء لحظةَ سماعي مُصادفةً أغنيةً قديمةً من تلك التي ارتجفت لها خلايا جسدي لعقودٍ، حينما كنا نتغنى بعشقِ الوطنِ وانتصاره وخلودِه في القلوب، كيف لي الآن أن أقتنعَ بالتفاخرِ بالنصر في حروبٍ تُعيق الإنسانية عن مسار الحب.

كيف لِي أن أستمر كذلك في الاعتقاد بأن نصفَ سكان الكوكب أعدائي حتى أستطيعَ أن أحيا في وطنٍ مُستقل.

هل عليَّ أن أصرخَ في العالمين بحقيقةٍ غابت عن قلوبهم، أن الأرضَ لا تزال باقيةً بفضل توسلات الحب لأجل بقائنا؟

الحبَّ يستيقظ كل صباح مناجيًا الرب بأن يُمهلنا ألفية جديدة، فما زال بيننا عاشقٌ، ولا يزال الحبَّ حيًّا وإن علّت صحته.

وإني عاشقٌ للحبِّ فيكِ، والحبُّ- يا مُنجيتي- زادُ الحياة ومُسببُ البقاء، وإني أرانا جزءًا من وقودِه يقتاتُ عليه ليحتفظ ببقائهِ من أجلِ توسلاته لبقائِنا.

لنحاربَ معًا من أجل إنماء الحب بين الناس، فكلما تعافى الحب تقلصت الحروبُ، وانزوت العصبياتُ، وطغى مفهومُ الإنسانية على مُصطلح الوطنية.

نحن نملكُ السلاح يا فارستي، دقاتُ قلوبنا سلاحٌ، فعلُ الحنين والاشتياق سلاحٌ وإعلانٌ صارخٌ لسلام الأرواح.

فلنصنعْ من قلبيْنا سفينة نوح جديدةً تطفو فوق كل أمواج آثام البشر، الكونُ يكفيه زوجٌ وحيدٌ من قلوبٍ عاشقةٍ للحب، ولنفسها، ولأليفها، حتى يضمنَ استمرار بقائه حينما يحين الحين.

لننقذ الدنيا بثباتنا على لهفتنا للنجاة، ورغبتنا في خلودِ العشق، وإيماننا بحق الجميع في خوض غماره بديلًا عن غمارِ الحروب.

أظنكِ تُوافقينني بأنه ليس من المنطقي أن يقتل البشر مستقبلهم، ويُعادون فطرتهم عمدًا، ويُعجلون نهايةً قادمةً لا محالة، لجهلهم بطريقةِ إدارة الحياة العاشقة.

لنُدير الكون من نواتنا الضئيلة، لنبتنِ للكون كعبةً جديدةً للخلاص، وقِبلةً نولي قلوبنا شطرها مع كل خفقةٍ حقيقيةٍ وتنهيدةٍ صادقةٍ.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية.. ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 18

هي.. صنفٌ من النساءِ لا يُهمل، ولا يُنسى، ولا يُنصح بالاقتراب منه أكثر من اللازم. يجمعني بها أكثر من صداقةٍ، وأهم من الحب، وأبقى من صلة الرحم. هي.. من أغضب منها آلاف الساعات في كل ليلةٍ لأنها ليست بجوار أنفاسي، وأعتب عليها أنها دائمًا ليست على نفس القدر من القرب أو الاقتراب- أحبها؟ لا... لستُ أحبها ، فربما أظلمها بهذا اللفظ، ذلك أني أحببتُ عشرات المرات أو هكذا توهمتُ.

السَّلامُ على الأحلام... تحوي بين جنباتها حيواتنا السابقة، وتختزنُ في قاعِها حيواتنا الآتية.

السَّلامُ على عالم النوم الغامضِ، نحياه دونما عمدٍ منا أو إدراكٍ، نحتفلُ في معيته بصيانةِ العقل اليومية، وتُكافئنا فيه السمَاء أحيانًا بممَارسةِ اللامعقول، واللامُفترض في واقعنا.

السَّلام على إعجازِ الخالق المُتجدد في أجسادِ عباده بأن يُميتهم كل ليلةٍ، ليبقى القلبُ وحيدًا نابضًا في انتظار مباشرةِ العشق.

السَّلامُ على الليل الساتر المُستتر، عاشقِ الحب وخليلِ العاشقين، من وراء عتمته يستمتع المُحبون بجنونِهم، والقتلة بخلودِهم.

وإني رأيتكِ في منامي.

رأيتكِ غريبةً، من دون مساحيق التجمل التي عهدتُها في طبيعةِ تكوينك، ومن دون وشم البراءة المحفور على تفاصيل ابتسامتك.

رأيتُك رماديةَ العينين، حائرةَ النظرة، تبتسمين دون سعادةٍ، وتُعانقيني دون وحشةٍ.

كنتَ عاجزًا عن تحريك لساني، حاولتَ سؤالكِ عن مسبباتِ هيئتك المُريبة لكني عجزتَ تمامًا... تمامًا.

ابتسمتِ لحظتها بعنفوانِ القارئ للأفكار، قبلتيني، من رأسي، في وجهي، تعمَّق لسانُكِ عابثًا في كهفي العاجز عن الكلام، منحتيني البركات الملعونة بتلذذ مذاقِ الجسد المُندهش.

كنتِ تلتهميني كأنني وجبتُكِ الأخيرة، وكنتُ أتلقاكِ بسلبيةِ العاجزِ عن الفهم، العازفِ عن المُتعة.

لستُ أدري لماذا كنتِ مُغمضةَ العينيْن بينما تقتاتين بما تبقى من شفتي، ولستُ أدري كيف أدركتُ ما يجولُ بآهاتك.

كنتِ تتخيلين رجلًا غيري، تُعانقينه في براحِ عتمةِ ما وراء أبواب البصر، تحتسين جسده عبر دروبِ التخيل، تستخدمينني كدميةٍ جنسيةٍ مُهداةٍ إلَى عشيقك الغائب، ولسانُ حالك يكرر من دون صوتٍ:

"إني أنتقم منك... فيك".

صرختُ في وجهكِ، تجمَّدت يداي حول عنقك، طلبتُ منكِ أن تنظري إليَّ، أن تنفي ما تراءى لتخيلي، أن تقصي عليَّ قصة قُبلةٍ أنتشي بصدقِ تفاصيلها.

منحتُكِ دهرًا لتُحبيني، ولم تجتهدي برهةً لإنهاء إغماضة عينيكِ، فقررتْ يداي احتضان عنقكِ أكثر، فأكثر، فأكثر.

لقد قتلتكِ يا حبيبتي.

كم أعشقُ الأحلام....

انتزعتُ الغطاءَ الفاصلَ ما بين الحلم والواقع، استيقظتُ مفزوعًا أردد النداء الزاعق بحروفِ اسمك، وجدتكِ كما عهدتكِ في هذا الوقت من التاريخ، تنامين جواري في وداعةِ الملائكة الذين لم أرهم قبلًا، ولستُ أدري لماذا أظنهم كذلك، تُعانقين عُنقي بأناملكِ الناعسة.

فطلبتُ منكِ أن ترددي جملةً واحدةً حتى ولو كنتِ غير مستيقظةٍ تمامًا:

"إني أحبك يا.....".

وأجبتني دون استيقاظٍ:

"إني أحبك"..... وفقط.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 19

ضَعي يدك فوق يدي، تلمَّسي شرايين الحبر المتجمدة. انقشي حرفًا وحيدًا أراه منقوشًا مرتين على ملامح وجهك. التاء المربوطة تصل ما بين نورِ البصيرة وضبابيةِ البصر.

السَّلامُ على كرامةِ العاشقين، تلك التي تنازلتْ عن عروشِها صاغرةً مُستسلمةً حين لقائها الأول بالحب.

السَّلامُ عليها حين تيقنت أن كبرياءها مرهونٌ بالسعادةِ، وأن السعادةَ مرهونةٌ بوأد نظريات الكبرياء.

السَّلامُ على هؤلاء الذين تنازلوا صاغرين عن حريتهم وكبريائهم لأجل ثوياتٍ من سعادةٍ في القرب من عشقهم.

وإني محتجبٌ.

وإني ضعيفٌ.

وإني مصريٌّ بامتياز.

يا حبيبتي أطلقي سراحَ دموعك الآن، فللدموعِ أوانٌ قد حان وتحتم.

ابكِي على براءةِ الطفولةِ حين ألصقناها بالحلم، ورسمناها على رايةِ الوطن الحُر..

ابكِي على كل الأناشيد المُعطرة بالفطرة، تلك التي خطتها السذاجة على ألسنتنا المعصوبة.

اصرخي في وجهِ العبث، تبرَّئي من كل كتب التاريخ، مزِّقي كل الشهادات الورقية للعلامة المعلنة عن كل فشلٍ سنوي.

زيِّني جدران المراحيض بأوسمةِ الشرف ونياشين العزة البراقة.

يا أم القلبِ... جاهدي سويعةً لتختلقي ابتسامةً في وجهِ السقوط.

نحن يا ملاذي سعداء دون وطنٍ، أحرارٌ في قبضة القيد، مختصمون للحياةِ لأنها لم تمنحنا كلمة السر الخفية للولوج إلى دروبها.

إياكِ اليوم أن تُنادي بالثورة، كفاكِ منها ألمًا، وكفاني منها انعدامًا.

اليوم، واليوم فقط.. أنتِ وأنا مطالبان باختراع نظامٍ كوني جديدٍ، يختصر النهايات، ويتسكعُ في وديان الذاتية المُغرقة.

يا كل ما تبقى من ذكرياتِ الانتماء، يا كل ما تشبث به عقلي حين قررتُ فقدان التاريخ والذاكرة، لا تشفقي عليَّ فتخبريني بماهيتي وسابق قناعاتي ونظرتي للحب وعَلاقتي بالأرضِ والسماء، اشفقي عليَّ وأخبريني أني وُلدت يتيم الوطن.

لن أنزعج لو أخبرتني أني تعرضت لهزاتٍ عقليةٍ توهمت أثناءها أني آدمي فيه خيرٌ وله الحق فيه.

دعينا نبحثُ عن جزيرةٍ لم يعترف إنسانٌ قبلنا بوجودها أو جدواها، سنجمعُ منها ومن حولها كل المبهجاتِ لنصنع نعوشنا بأعيننا وننتظر لحظة الميلاد الأبدي الرائق.

دعينا نجتهد لنخرجَ منها لا لنا ولا علينا، فقط نمر عليها بكل ما نمتلك من عاطفةِ الحياد.

يا حبيبة الجنون...

أتوسلُ إليكِ أن تُذَكريني دائمًا أني أحببتك.

أن تجتهدي في دفعي لكتابةِ وصيتي لصغاري بألا يعشقون، وألا ينتمون.

احترفي مهنة النجارين، اصنعي من حسراتِ المقهورين توابيت تحوي أحلامهم، دموعهم وندبات القلوب المشوهة للنبضِ في دخائلهم...

تقمَّصي دورَ إلهٍ واعملي على إقناعِ الحياة بأنهم موتى، وإقناع الموتى بأنهم أحياء، وإقناعهم بأنهم عدمٌ.

احرصي على تخليدِ العدم، فلا أحد سواه خالدٌ.

اصنعي حلفًا أبجديًّا مع سكان أمة الحرف، اطلبي منهم حماية الأرض من عبث المتطرفين منهم، امنحيهم قائمةً بالأشقياء الممتهنين للخيال، احمي الحياة من شرورهم بأن تطلبي من كبير أمة الحروفِ أن يحكم على (الحرية- الكرامة- العدل- الانتماء- الوطنية- ..... ومشتقاتهم) بالموت خنقًا دون اجتماعِ الحروفِ لميلاد أو استنساخ المزيد.

يا رفيقة...

ابحثي عني جيدًا في قادمِ الأيام، اعقدي يدكِ بيدي لأني حتمًا سأحاول تعلم السير من جديدٍ، لن أمر ثانية بمراحل التأهيل بزحفٍ أوَ حبوٍ.

لن أحاول استدعاء ذكريات التكون الأولى.

سأولد من جديدٍ، في وطنكِ أنتِ.. أنتِ فقط.

سأتعلم الكتابة مرةً أخرى لأخط أول وثيقة ميلادٍ طوعيةٍ في تاريخ البشر..

سأنقش عليها:

" إني أولد من جديدٍ، اسمي عاشقٌ يجتهدُ...

وُلدت في يوم النهاية الحتمية لكل جميلٍ مفترضٍ... في شهر خيانة المسلمات... في عام التيقن من الانهيار التام.

محلُّ ميلادي.. على الأوراق وبين ذراعيكِ.

جنسيتي.... فرااااغ" .

يا أنا...

ابقِ جواري فإني يتيمُ الوطن.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخير

الرِّسَالة 20

هي..
كلُّ إبداعٍ تفرَّد بعبقريته، هي الموسيقى التي تمتلك تعريفًا صريحًا مُنمقًا للروح؛ هي اللوحة الإلهية المُقدسةُ التي وهبها الرب لكوكبنا القبيح ليقتنعَ ساكنوه بأن الجمال ليس له حدودٌ.

السَّلامُ على منافذ الجمال، على قوالب السُّكر، على التحضر بالرقي، على الإبداع المُجدِّد على إطلاقه.
السَّلامُ على مُعلِّمتي في صفي الدراسي الأول، على رايةِ الوطن المهترئةِ ألوانها بفعل تعاقب الحرارةِ مع المطر.
السَّلامُ على ملخصاتِ الجمال على الأرض وأنتِ منها.
وإني سافرتُ.....
بعيدًا .
أصدقائي يظنون أن بي خللًا لأني لا أنبهر بما أراه.
يظنونني تمرستُ على الاغتراب حتى أمسكت زمام العيون.
وإني في بلادٍ لا تحتوي كي لا أعترف بسيادتها.

أحدُ السعاةِ في عملي انفرد بي قبل السفر وطلبَ مني أن أدعو له ولعيالهِ بينما أحط فوق السَّحاب.

ابتسمتُ لحظتها... ثم تفكرتُ في الأمرِ ..

هل يعتقدُ عم محمود أنني سأقتربُ من السماء إلى الحد الذي يمنحني بركات الخير الملائكية حتى أحمل دعواته وأمنياته؟

رغبتُ في أن أخبره بأن السماءَ عاكفةٌ في بيوتِ الغلابة والطيبين، وهو حتمًا منهم.

والعاشقون منهم.

وإني غلبان حين أبتعد عنكِ.

إني فقيرٌ بدونك ...

وإني أفتقرُ إليكِ.

ربما من أجل هذا وذاك طلب مني عم محمود الدعاء.

ودعوتُ له ولعياله، ودعوتُ لكِ ولقلبي.

إنها المرةُ الأولى التي أزور فيها بلاد الصين، بلادٌ جميلةٌ، ناسها يحملون في عقولِهم وقلوبِهم معنى الحضارة، يمتلكون حضارة الحاضر وثقافة التحضر والتشبث بالتاريخ في واقعهم.

زرتُ مسارحَهم ومتاحفَهم واكتشفتُ أخيرًا أن عظمة التاريخ ليست تُقاس بأثره وكمِّ آثاره، وإنما تكمن في إيمان من يحملونه به.

وأن التاريخ يُهان فقط عندما يتحول إلى مادةٍ دراسيةٍ، أو واجهةٍ للزينة، أو سلعةٍ تجاريةٍ تُباع لمن لا يعنيه الإيمان بها.

يا رفيقةَ السفر رغم الغياب.

يا صديقة القلب ..

لقد قررتُ أن أتعلم اللغة الصينية، وقررتُ أن أعودَ يومًا ها هنا لأقنع إحداهن بأن تُحبني.

لا تغضبي، لا بد وأن أدرسَ تفاصيل العشقِ المُعبأة بالرقي الناعم.

إنهن جميلاتُ القلب.

وأنتِ جميلة الروح والقلب والعقل، تخيلتك جواري، وتمنيتُك تسعدين بغابات جوانزو على أطراف بحيرتها المحفوفة بالسماء الخضراء، مشهدٌ مقتبسٌ من الجنة دون شك، وأعرفكِ تعشقين السفر، وتحلمين بالجنة.

لا لا لا... لستُ منبهرًا كما تظنين، فقط أعشقُ الجمالَ، والجمالُ ليس مُحتكَرًا في بقعةٍ أو عينٍ..

الجمال يُولد ويتوالدُ، ويبدأ وينتهي، ويمرضُ ويموتُ.

ووطني رغم كل اليأسِ والإحباطِ والدمعِ الغزير، ورغم اللونِ الأحمر الدَّامي المُحتل لنُضرة الجمالِ الأخضر، فإنه ما زال، وسيظل الخامَ الأوليَّ للجمال في عيني.

وأنتِ يا ملاذي وطنٌ، أنتِ كعبةُ الجمالِ على الأرضِ، وقِبلة الروحِ حين تتضرعُ لأجلِ خلودِه.

أعرف أنكِ مُنهكة الرُّوح، وأعرف أن الجمال مُحتَجبٌ إلى حينٍ، وأعرف أني بعيدٌ بعيدٌ.

وليس في يدي منحةً لكِ ولا عطية، فقط لكِ عندي عشقٌ لم أمنحه لسواكِ بهذا القدر .

وإني عجيبٌ غريبٌ مريبٌ مع الحبِّ.

وقبل أن أحتضنَ الغيابَ، اعلمي يا تاج القلب أني قد تخلصتُ من كلِّ شِعري إلا قليلًا، همسًا سأخبركِ حقيقة الدافع...

لمحتُ منذ يومين انحرافًا لونيًّا على بعضِ خُصلاته؛ أعدادٌ قليلةٌ قرَّرت الاعتكافَ والتصوفَ وارتداء الجلابيب والقبَّعات البيض.

سوف أعترفُ.... الاكتشافُ كان مُرعبًا وصادمًا لطفولةِ قلبي.

أعرفُ.. أعرفُ جدًّا أن ما فعلته ليس انتصارًا.. لكني منحتني هدنةً وقتيةً ضئيلةً لاستيعابِ هزيمتي وبدء التأريخ لمستقبلِ شيخوختي.

أدام الرب عليكِ شبابَ النظرةِ والعشق.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديثِ بقيةٌ.. ما دامت للقلبِ هوية.

#كوني_دائمًا_بخيرٍ

الرِّسَالة 21

السَّلامُ على صديقِ الدنيا، وبوَّاب الآخرة.

السَّلامُ على المُقاتلِ الأول ضد القُبح على هذا الكوكب.

السَّلام على من وُلد كفيفًا مُتمسكًا بكلِّ ألوان الولوج إلى الحياة، ذلك الذي لم يُحاول يومًا توصيف ألواننا حتى يُلون ظلامَه، يعي جدًّا وجيدًا قيمة مكنون الوعي اللاملوث في ذاكرته.

السَّلامُ على الحُب يومَ وُلد ويوم تمسَّك بالنضالِ لأجل البقاء والخلود.

السَّلامُ على كلِّ مَن آمن به، وتودد إليه، واحتفظ بملامحه من غير تشويهٍ في جوفِ القلب.

وإني يا حبيبتي قرَّرتُ يومًا أن أُلاقي الحب في بلاطِ عرشه، وسط حاشيته وصولجانه.

ارتحلتُ بعيدًا، تعمقت في جوفِ الطبيعة، افترشتُ الارتقاب فوق صخرةٍ ترتفعُ عن الأرض قدر مدِّ أيادينا , تستقر تمامًا على شاطئ بحرٍ يُصارعُ أمواج الشتاء.

التزم الحضورُ في أماكنهم تمامًا...

"شمسٌ تستعدُّ للرواحِ مصافحةً قرص القمر, بحرٌ يسعلُ بموجهِ في وجهِ الصخر, طيورٌ في طريقِها للهجرةِ الموسميةِ تُحلقُ في استرخاءٍ فوق البيانِ, بعضٌ من مطرٍ ينقرُ بعشوائيةٍ لوحة الميلاد والموت على صفحاتِ الموج, بعضٌ من أسرابِ السَّحاب تبتسمُ حينًا لِتفُسح مجالًا للدفءِ وتُزمجر حينًا فتصير ضبابًا يمنحُ دربًا للوحشةِ والبرد وظل المطر".

اكتمل أو أُكتمِل نصابُ التجلي... فبدأ اللقاء.

****

قال..... حدِّثني عن....

حدِّثني عن السماء!

ابتسمتُ بثقةِ المُنتصر قائلًا:

"هي وجهُ الأرضِ أو ظلها, تتأرجحُ ألوانُها ما بين الصفاء والقسوة، زرقاء البسمة, رمادية العداء, تتسعُ لكلِّ الناس بدِفئها وكذلك ببُعدها.

هي أمُّ الشمس وجدة القمر, هي النورُ وهي العتمة, هي المجهول حين نَريد، والصديقَ حين نبغي.
هي فجرٌ وغروبٌ... موتٌ يليه بعثٌ.
هي كل ما لا تطولهُ أيادينا وتعشقهُ عيوننا وأحلامنا.
واكتفيتُ محتفظًا بابتسامتي.
نظرتُ إلى عينيْه المُحدِّقتين في وجهي في اتجاه محيطٍ لستُ فيه....
ثم ابتسم بدورِه.. وقال:
"رائعةٌ مفرداتُ وصفك.... ولكني....
لكني ظننتُها....
ظننتُها سُكنى العاشقين, حقلًا تزرعُ فيه الملائكةُ الأمنيات لتحصدها عيونُ المتأملين.
ظننتُها فوق رأسي تمامًا, تعلو حين ترتفعُ النظرةُ وتدنو حينما أصادق حصوات الأرض وعثراتها.
ظننتُها قبوًا في استدارةِ بطون الحوامل للنماء وللأمل.
ظننتُها بلونِ العين ولونِ القلب ولونِ الطيبة مربوطة في عنقود التباين.
ظننتُ وجهي مرسومًا بألوانِ البعث وخطوطه على صفحتها.
والألوانُ عندي ليست بأشكالها ولكنها بمعانيها ومذاقها.
فالبعثُ لونٌ بطعمِ الرهبة, والسماءُ ملونةٌ بنكهةِ الفراق, والمطر بطعم العطاء.
ظننتُ السَّماءَ امرأةً في تسعينِها تنظرُ لأحفادِها نظراتٍ فوقيةً تُوحي لرؤوسهم بالثناءِ وبالعقابِ.
ثم صمت أو اكتفى.....
وجدتُني في نهايةِ حوارِه بلا ابتسامةٍ... فقررتُ الإمساك بالمبادأة.
بادرته بالسؤالِ...

****

حدثني عن الدم..
ارتجف قليلًا ثم قال:
"الدمُ روحٌ بلا رواح, كهلٌ بلا تاريخٍ, مسكينٌ يتسوَّل الدورانَ كي لا يجفَّ، مُشفرٌ برمزيةِ القدرِ, مُنهَكٌ بحُكمِ الارتجالِ والارتحالِ.
أراه مادًّا يديْه على مصراعيْهما ليصلَ طرفُ الحياة بطرفِ الموت، أو كأنهُ يُصلح بينهما حتى يتعانقا.
الدم من دون إدراكهِ خَصْمٌ للموت, ومن دون إدراكهِ خصْمٌ للحياة، ومن دون وعيهِ خِلٌّ للأول ورفيقٌ للأخير.

الدمُ مجنونٌ كعقولِ النساء ومجنونٌ كقلوبِ الرجالِ ومجنونٌ كلونِ ثيابهِ ومغرورٌ ككل حقيقي وسط وهم الفراغ.

الدمُ يحترمُ الحياةَ إلى حينٍ, والموتَ إلى حينٍ.

يترقبُ موعدًا لهجرٍ معلومٍ, فيسيل فيضًا في قوافله تجاه فناء اللحظة ليصبَّ في ميلادٍ جديدٍ لموعدٍ جديدٍ.

ارتجف مرةً ثانيةً ثم ابتسم ثم عاود الكرَّة...

صمت أو اكتفى..

ووجدتُه يصفع الهواء بيده مشيرًا لي ومردداً: "دورك يا عاشق".

فترددتُ قليلًا، ثم نظرتُ إلى الدم النازفِ من يدي عن قصدٍ مني, والتحمت في ملحمةِ التناوب بين البصر المُنهَك بالبديهيات والبصيرةِ المُنهكة بالتأملات.

أجبتُه...

"الدم قريبُ الماء, مُحرمٌ عليهما الامتزاج أو الاقتران, صديق الهواءِ يموت تجمدًا عند لقائه, مرهوبُ الطلة إلى حد الفزع, موسمي الفوران أو الجنون.

الدم يؤمنُ بالتجدد, رافضٌ للتعددية, قابلٌ للعطاء, معروفٌ بين جنبات أمةِ الألوان بالسيد السائدِ, ويعرفونهُ هُناك في أمةِ الحروفِ بالقزمِ المخاطرِ الخطير.

الدمُ شاهدٌ على القتل, تقتلهُ الجراح.

شاهدٌ على النهر, يحذو حذوهُ متجنبًا نضوبَ الحُبِّ حتى لا يحل بمسيرهِ البخر إلى الفناء.

الدمُ ساعةُ العمرِ الزئبقية, تلك التي تعرف عن يقينٍ كيف تسعى عقاربهُ المكورة وراءَ احتضان الموت.

نعم الدمُ يسعى لاحتضانِ الموتِ... لكنه, ليس يسكنُ بالقبور.

ابتسم الحُب...

نظر إلى وجهي في ظل السماء على جبهةِ الرمل، ثم فاجأني مُتسائلًا:

لماذا طلبت التجلي واللقاء؟

هل عرفتني قبلًا؟

فانتبهتُ إلى ضخامة السؤال على قِصر قامته، أجبتهُ مُرتجفًا:

"لقد أبصرتكَ يومًا في منامي, رأيتك، نعم رأيتك, قوسٌ تضم نصفَ السماءِ, تستوعبُ نصفَ البحرِ, تُصادقُ نصفَ النهرِ, تُمَهِّد نصفَ الأرضِ, وتحتسي نصف القلب.

تستوعبُ في انحناءَتكَ نصفَ النجوم ونصف الموج ونصفَ النماء ونصف الجبال ونصف العمر.

رأيتك قوسًا بعينٍ وحيدةٍ ليست ترى, وأُذنًا وحيدةً ليست تسترق السمع, ولسانًا منقوصًا ما إن تحدث حتى اكتفى.

رأيتُكَ مُعَلَقًا على رقبتي تمتطي دقات القلب وتحترف الدمعَ والقلق.

لا لون لك إذ تتلون بلون الناظر والمريد.
رأيتكَ حكيمًا بلا حكمةٍ, متدينًا بلا عقيدةٍ, ملتزمًا بلا تشريعٍ.
تضحك لتجدد الدمع استعدادًا للبكاء.
لمحتُكَ وحيدًا بلا خلٍّ، دون رفيقٍ, ترفض الخلود لتبحث عن أُبهة السعادة على عتبات مخاضٍ جديدٍ.
أحببتُ طلَتك، ولا تتعجب إن قلت إني عشقتُ وداعك.
أنت يا صديقي، الرقيقُ العاصفُ في المُدْخَلَين.

وتوقفت عن الاستطراد مُنتبهًا لاقتراب انتهاء اللقاء..
فبادرته، دعك منك، إنك وإن تعملقَ أثرك فإنك صغيرٌ.
حدثني عن الرب!
عانق السماء بسهامِه، ثم أجابني:
"الرب كذلك لا نراه بالعيون يا عاشق.
الرب فينا أيها الإنسي البصير, مستقرٌّ بذراتِ وجودنا إذ لا تستقيم إلا بالتجلي, وللتجلي حدودٌ وعتباتٌ.
الرب سرٌّ يزدادُ استتارًا مع مرور العمر, نجهله كلما زاد زيفُ الوعي وتعملقت الذاتُ على ضآلتها.
أراهُ في السماء وفي الأرض وفي الموج وفي الدم وفي أعماقي.
وجههُ يُطل علينا من دخائلنا, لكنا لا نُميزه في العموم، لأننا لا نمتلك عيونًا مسلطةً على أسرارنا.
اكتفينا بالنظر إلى مُحيطنا ظنًّا منا أننا نُنير دروبنا بتعريةِ سوانا وطمس الروح, فتاهت منا أسرارُنا وعمينا عن وجه الرب فيها.
الربُ هو القُرب حتى السعادة, والبُعد حتى التوبة.
هو السكينةُ ريثما تتنحى محدودية الغرور على تعملقها في لقائها بالعظمة على إطلاقها، فيتكئ الغرورُ على عكازٍ بدويٍّ بدائيٍّ من اختراع الحاجةِ مُهادنًا مُستسلمًا مُمتنًا لكونهِ لم يكن يومًا مُطلقًا حتى يشعر بالراحةِ وينعم بالسلام ويلجأ دومًا لمن لا يخجل من السجود ومن البكاء إليه.
الربُ هو الأملُ في الوجودِ وفي الفناءِ, في الحزنِ وفي الفرحِ, في الطموحِ وفي الأملِ.
نعبدهُ في حروفنا وحديثنا وتأملنا وحبنا, في سقفِ إدراكنا وأرضنا, حينما نُغمض عيوننا في مواجهةِ نقاء النور احتماءً من النور, وفي إغماضِ عيوننا في معيةِ العتمة استنساخًا للنورِ في دخائلنا لنختلي بوجههِ في محدودية إدراكنا.
ثم توقف بغتةً عن استطراده، وأهداني نظرةً لستُ أعرفُ يقينًا ترجمتها، قائلًا:
"مهلًا يا عاشق, ألمحُ في قلبكَ بصيرةَ المُحبِّ المُتأمل، وفي صوتكَ تجاعيد التفكرِ المحسوب....
لماذا لا تصعد أعلى الجبل الشاهق, تنظرُ إلى السماء حتى تعشقك وتعرفها، وتتدارس الشمس والقمر والنجوم والسحاب وذاتك حتى تُدرك الحب بسموِّه, وتهب روحك قربانًا للأرض، تهوي محتضنًا

جاذبيتها, فتنال جائزتك بحضور مخاضِ الدم فيك.
لحظتها ستُدرك كيف الرب, ربما تصير معرفتك بجلاله أكثر واقعيةً وإتقانًا في لحظةِ الفناء.
لحظتها ستجدني بجوارك, أتدارس كيف يخط الدم خارطة النفس على سطح الأرض.
ثم صمتَ.....
فصمتُّ.
توقفتْ عيناي عن التحديقِ في عمقِ الفضولِ..
صرختُ فيه:
"مَن أنت؟ هل أعرفك؟".
"أنا لا أعرفك.. أنت لستَ أنت".
أجابني وكأنه الموجُ ضاحكًا:
وربما أنت لست أنت.
أما أنا... فأنت تعرفني جيدًا..
أنا القلم وحبرهُ ودواتُه.. أنا الفكرة في ثوبها المجنون.. أنا شيطانك... ملاكك.. عينك.. أذنك.. أنفك... أنا أنت مُختبئًا تحت مسام الجلد.
أنا عقلك حين تنحسر المدارك والرؤى، وجنونك حين التحرر من قيد الثوابت..

****

جدالٌ وصراخٌ وضحكاتُ رعبٍ..
دُوارٌ وغيومٌ وموجٌ وريحٌ...
نورٌ وعتمةٌ وضبابيةٌ ملونةٌ...
شمسٌ وطيرٌ ومطرٌ وسربُ سحابٍ...
أرض وسماء, سماء وأرض..
وما بينهما أنا أستظل بعشق الرب.

****

وجدوني يا ملاذي مغشيًّا عليَّ أسفل سطح السماء مباشرةً, فوق قمة جبلٍ شاهقٍ...
مُبتلًّا بماء المطر....
أسفل عيني تمامًا آثار دماء من غير جُرح.
أحتضن بكلتا يديَّ في حبِّ صخرةٍ عذراء.
أردد أسماء الرب في هدوءٍ رتيبٍ, وأستعيذ مني بين لحظةٍ وضحاها.

(اكتبي معي نهاية لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقية... ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخيرٍ #

الرِّسَالة 22

إياكِ وأن تحكمي على عشقِ الأنبياء، فقلوبهم محمولةٌ على أجنحةِ السَّحاب مرويةٌ بدموع اليائسين..

السَّلامُ على فطرةِ الرب التي وهبها عبادَه، فتمردوا عليها حتى أفقدوها سلامها وعذوبتها.

السَّلامُ على السكينةِ حينما تستعمر القلوب، وتستعبد الكراهية، وتجعل من الإنسانية معنًى واقعًا.

السَّلامُ على براءةِ وجهكِ لحظة انبعاثِ النور من رحم الظلامِ مع ميلاد كلِّ صبحٍ، يمنح الكوكب كل مبادرات السلام والأمل.

وإني أخافُ..

من دونكِ أخافُ الملل، فالقلوبُ يا صديقتي يُضعفها الانتظارُ، وتكتئبُ إن طال، وأظنكِ لا تعرفين اكتئابَ

القلوب، وأدعو الله ألا تعرفيه.

وفي حضرتكِ أخافُ الهجر، وانقضاء أجلِ السعادة، فالسعادةُ يا عزيزتي محدودةُ الأجل، حتمية الانتهاء، تموتُ في حيزٍ.. لتُولد في آخر ...

أظنها شحيحةَ النَّبت على الأرض فلا تكفي الجميعَ في كلِّ وقتٍ، فكان لزامًا على الحياةِ إعادة التدوير.

وإني أخافُ...

أخشى أن أقتنعَ يومًا بالتنازلِ عنكِ لقاء المرور بقلبي سالمًا.. لا لهُ.. ولا عليه.

وأخشى أن أحترفَ الخنوع ...

بأن أُحبَّ مَن أحبني... وأنصرفَ عمن أحببتُ... وأكتفي.

ساعتها سيصيرُ القلبُ منتصرًا في كلِّ الأحوالِ، سأهزم الخوفَ كل ليلةٍ، فلا خوف على قلبٍ يتدرَّع بجدران العقل.

يا ملاذي...

هل تفضلين سعادةً موقوتةً محدودةَ الأجل ثم من بعدها موتٌ مُحققٌ؟ أم أبديةً مرهونةً بجمود الإرسال والتلقي؟..

حدِّدي جيدًا قبل الرد.. مَن سيُجيب عن تساؤلي؟... عقلك؟ أم قلبك؟..

لا... لا تُجيبيني.. أُشفق عليكِ من فخِّ الاختيار.

بدأتُ منذ أيامٍ في ابتلاعِ حبوبِ مكافحةِ الاكتئابِ، مكتوبٌ في وثيقةِ الدواءِ الرَّسمية بأن الأثر سيُولد بعد أسبوعين.

انشغلتُ عن اكتئابي بمراقبة مخاض الأثر.

أخبرتني صديقةٌ بأن الاستمرار في تناول العقار يُجمد المشاعر وتتبلد بصحبته الأحاسيسُ، إن صحَّ قولها سأجدني مدفوعًا لأن أعقد اتفاقَ مصالحةٍ وسلامٍ مع كيانِ الاكتئابِ مع تقديم اعتذارٍ صريحٍ للجوئي لوسائل الحربِ الكيميائيةِ...

فقط... حتى أظل عاشقًا.

تلقيتُ رسائلَ كثيرةً تمتدحُ رسائلي وتسألُ عن وجهتها أو بالأحرى كل الرسائل تسألني الإفصاح عن ماهيتك..

أجبتهم بالصمت، لا خجلًا بل عجزًا عن توصيفك كحالةٍ.

تستحقين شرحًا بعيدًا عن تفاصيل البشر المُتفق عليها.

سأسافرُ قريبًا، وأعرفُ أنكِ تعشقين السفر، سأكتبُ لكِ من بلادٍ بعيدةٍ، وسأخبر الطائراتِ بأني بدونكِ مبتورُ الجناح، سوف أبحثُ عنكِ في الذكرياتِ المؤجلةِ، وأتابعُ الحياةَ أملًا في الحياةِ.

وسأترك هنا وصيَّتي ..

كل الرسائلِ إرثٌ شرعيٌّ لكِ من بعدي.

فإن باتت بين أناملك... فاذكريني بالحبِّ.

(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).

وللحديث بقيةٌ... ما دامت للقلب هوية.

#كوني_دائمًا_بخيرٍ.

الرِّسَالة 23

هي... النورُ والعتمةُ والفرحةُ والدمعةُ والأملُ واليأسُ والسماءُ والأرضُ والخطيئةُ والفضيلةُ والنارُ والجنة والإيمان والكُفر والصديقة والحبيبة والجانية والضحية والنجاح والفشل والجمال، وغيرها، وكل شيء ونقيضُه.

هي الحياةُ بكلِّ تفاصيلها...

وطُوبى لمن زهد.

طُوبى لمن زهد.

السَّلامُ على مَلك الحب في السماوات، يتنزلُ على القلوبِ العذارى ليمنحها دفءَ الأمل وفرحة استنفار النبض ودقاته حين يحين الحين للقاء العشق الأول، ويهبط على القلوب المُقيدَة بالانتظارِ والتمني ليهبها السكينة والقدرة على تطويع مستقبلِ نبضها.

السَّلامُ عليه حين يمد أياديه حانيةً على فعلِ الضعف مع الهجر، وفعل الصبر مع الفراق، وفعل القوةِ مع انتصار الحب، وفعل طبيبِ الإفاقة مع فعل الوهمِ وخيبة الرجاء.

السَّلامُ عليه يوم يُولد القلب ويوم يموتُ.

وإني باعثٌ إليكِ برسالتي من خلاله، فإني فارقتُ الحياة منذ سويعاتٍ قليلةٍ، ووجدتني ها هنا دونك، بحثت كثيرًا كثيرًا عن وسيلةٍ متعارفٍ عليها للكتابة إليكِ فلم أجد، فكل شيءٍ ها هنا يحتاجُ للوقت الكثير لأتعلمه، إني هنا رضيعٌ حديثُ العهد بحياةِ المُنتقلين.

لم أستطع تبني فكرة الانتظار حتى أتعلم دروبَ التواصل مع من فارقهم القلب موتًا، أو لأقل غيابًا

وامتهانَا لوعي وإدراكٍ جديدٍ، بكيتُ كثيرًا لأني ما زلتُ أتذكر كيف كان وداعُنا عند باب القبر، قالوا لي هنا إن العاشقيَّن سيئو الحظ، ذلك لأن القلب يحملُ ذاكرةً لا يمحوها الموتُ، وويلٌ لعاشقٍ لا يستطيع كبح ذاكرة قلبه.

الويل الويل لي، لا أستطيع، ولن أستطيع نسيان مشهد دمعةٍ سقطت من خدكِ عامدةً متعمدةً لتسكن فوق قلبي مباشرةً، ما زلتُ أشعرُ بسخونتها ومذاقِها وكأنها ترياقٌ سماوي يمنحُ القلب ثوينةً من حياةٍ لينبض ثم يُعاود موته.

أخبريني بالله عليكِ، من ذا الذي أوحى إليكِ بأن تهمسي في أذن قلبي في لحظاته الأخيرةِ تحت الشمس، كيف عرفتِ ما لم أعرفه إلا بعد انتقالي ها هنا بأن القلبَ يسمعُ وإن توقف نبضُه، وإن القلب يعشقُ بعقلٍ منفصلٍ عن عقولِ الناس الساكنة قبابهم...

وإني هنا أردد كلماتكِ الأخيرةَ على مسامع كلِّ مَن جاءني احتفاءً وتهنئةً بميلادي الجديد، لا... لستُ أذكر كل كلماتك، فقط أُخبرهم بأن حبيبتي همستْ لقلبي الميت بأنها ستأتيني بعد قليلٍ.

لقد ضحك كلُّ من استمع لحكايتي ساخرًا، إلا أن أحدهم لم يُفصح عن سببِ ضحكاته الساخرة، لا عليكِ، فإني أنتظرك على كل حالٍ.

أعرفُ جيدًا أنكِ الآن تتألمين، وأعرفُ أنكِ الآن تحملين بين أناملكِ كل الوريقات التي كتبتها لأجلك، وكل الصور التي رسمتها لنا آلاتُ التصوير وأرَّخت لعشقنا عبر كل سنين الإدراك والتذكر.

وأعرفُ أن الحياة عندكِ قاسيةٌ عنيفةٌ.... مهلًا!!!، هل كتبت الآن كلمة "عندكِ"؟

أتُراني قد تجنست بجنسيةِ الموتى، في عالمي الجديدِ، واقتلعت كل الذكريات الفائتة بعيدًا عن مُتناول قلبي؟...

كل هذا لا يعنيني، فقط يعنيني أني ما زلتُ أعشقكِ، ويعنيني كذلك بأن حكاياتنا ورسائلي إليكِ ترددت على ألسنة الكائنات ها هنا حتى سمع بها ملاكُ الحب، فتنزَّل على حيزي عارضًا عليَّ قيامه بدور الرسول لإيصالِ رسالتي الأخيرة إليكِ حتى يقرِ قلبكِ ولا يحزن، إلى أن أتعلم دروبًا مغايرةً للتواصلِ الذهني معكِ، وربما من بينها أن أتعلم كيف أراكِ وأنبئكِ رسائلي في منامك.

ملاكُ الحب يُنبئني بأن الرسالة هذه المرة لن تكون مكتوبةً، ولن يمدني بأدواتٍ أطبع بها الحروفَ على أوراقٍ أو قبسٍ من جلود، الملاك المُنير يطلبُ إليَّ فقط أن أتحدث إليكِ بصوتٍ لا يسمعه كائنٌ مَن كان، حتى هو لا يرغب في سماعِ رسالتي، فقط أتلفظ بها قلبيًا، وسيتعهد بها لتصلَ إلى قلبكِ في نفسِ اللحظةِ، إنها تكنولوجيا مُعقدةٌ وجديدةٌ على مسمعكِ، أعلم هذا، وأعرفُ كذلكِ بأنكِ وبكلِّ تأكيدٍ لم تتدربي قبلًا على فكِ شفرةِ دقاتِ القلب، لا بد وأن تُدركي بأن الرسالة ستأتيكِ محمولةً على دقاتِ قلبك، وبأن فك طلاسمها مرهونٌ بمدى صدقِ عشقك الكامنِ، اعلمي جيدًا أنكِ قادرةٌ على التواصلِ والاتصالِ.

"يا صديقتي وحبيبتي وملاذ قلبي، يا أول من أحببتُ وآخر مَن عشقتُ وكل كتاب التأريخ لمشاعري، يا شباك النور وبوابة الأملِ....

صرنا أبعد بكثيرٍ من أي وقتٍ مضى، وأقرب بكثيرٍ من أي وقتٍ مضى، لم يعد معي ها هنا أية ذكرياتٍ لإحداهن سواكِ، ذلك لأن القلب لا يحملُ في طيات عقله ذكرى من لم ينبض صادقًا بحبها.

وإنكِ أنتِ هي، أنتِ ولا سواكِ.

انقلي عني لأبنائي بأني احترفتَ العشقَ حتى أقنعتكِ بحبي، وإني احترفتَ تقدير الجمال فحاولتَ إخراجه للناسِ محمولا على عاتقِ الكلمات، وإني خاطبتُ كلَّ قلبٍ عاشقٍ فكتبتُ لكِ رسائلي.

قولي عني ما لم يُسعفني العمرُ لإكماله، أخبري مَن يهتم بكلماتي بأن الحياة أقل شأنًا بكثيرٍ مما ظنناها، وأقل عمرًا بكثيرٍ مما عددناها، وبأن الكلمات أفقر وسائل الدنيا للتواصل، وأن الكتابة وإن برعتُ وأبدعتُ ونمَّقتُ فإنها لا تُناطح النظرةَ الحانيةَ، ولا اللمسة الصادقة، ولا نبض القلبِ العاشق بحقٍ.

أخبري عني بأن الحياة حلمٌ وضيعٌ، لا يمكث إلا ساعةً وضُحاها، ولا يبقى من أثرهِ فيما تلاه إلا قلبٌ أحب.

أوصيكِ خيرًا بالورود والزروع فإني وجدتها هنا تتذكر مَن أنبتها ورعاها، وأوصيكِ خيرًا بالقلوبِ اليتيمة، تلك التي فقدت حبًا يستحيلُ لأن يكون يومًا غرائزيًّا، فإني وجدتُ أصحابَها هنا في أعلى عليين.

أوصيكِ- يا حبيبتي- خيرًا بالجمالِ أينما كان، تشبَّعي بتفحصه أينما حلَّ وحيثما وُجد، فإنه يُرافق ذاكرة القلب هنا بقدرِ ما عهدتيه وتعهدتِ به.

امنحي ملابسي القديمة لفقيرٍ، وبقايا علب سجائري "لعم رفعت البواب"، وقلمي الذي اعتدتُ التباهي به في حفلاتِ الكتابة والتوقيع إلى طفلٍ عند رأس الشارع يُساعد أباه في بقالته ويستذكر درسه في أوقاتِ فراغِ البيعِ والشراء، وضعي هاتفي المحمول في صندوقٍ زجاجي مُحكم الإقفال وألقيه في اليمِّ ليجدَه أحدُهَم فيطلع على ما أخفيتُ من صوري التي التقطتُها فيَ لحظاتِ اختلائي بذاتي، وسيارتي... أبقِي عليها حتى تتناساني فإن بيننا شبه عشقٍ قديم، وأعيدي نشرَ كُتبي بإهداءٍ واحدٍ جديدٍ:

"إلى الدنيا الواهمةِ الموهومةِ، تستحقين الكلمات إهداءً.. فقط لأنها أكثر منكِ وهمًا، إذ إن لغة الخلود ليست هكذا تُصاغ.

إلى البشر.. كل البشر، اكرهوا قليلًا، افرحوا قليلًا، احزنوا قليلًا، تناحروا قليلًا، تعلموا قليلًا، اعملوا قليلًا، اكتبوا قليلًا، اقرأوا قليلًا، تناسلوا قليلًا، تفكروا قليلًا، تعبَّدوا قليلًا..... واعشقوا كثيرًا كثيرًا..

فإن تماديتم في الحبِّ كان كل ما سبق من تلقائه كثيرًا كثيرًا.

إلى مراد الذي ذهب، أينما حللت فإنك عائدٌ بعد عددٍ لا نهائي من دوراتِ التبديل والانتقال، فحينما يحين ميقاتُ الميلاد الجديد... اعلم بأنك تركتَ يومًا ها هنا أثرًا، ولو كان زائلًا بلا أبديةٍ أو خلودٍ...".

واجمعي يا حبيبتي كل ما كتبتُ في كيسٍ جلديٍّ سميكٍ، واكتبي عليه: "لأجل من كان عاشقًا للحب"، وأودعيه كهفًا صغيرًا في الجانبِ الشرقي من جبلِ الطور بأرضِ سيناء، مُميزًا بصخورٍ بيضاء على حافةِ فوهته.

ابني لي قبرًا جديدًا في نفس البقعة التي تنزلت فيها دمعاتكِ الأخيرة على قلبي، فإني ها هنا أُبعث مولودًا من جديدٍ.

هكذا رسمتُ لكِ في مخيلتي رسالتي الأولى بعد الرحيلِ، وتركتُ لمَلك العشق المتبرع مهمة زرعها فوق نبض قلبك الحزين، تمهيدًا لأن تنطبعَ كلماتُ رسالتي مُترجمةً في قسماتِ إدراككِ بعد فك تشفيرها بصدقِ العِشق والتذكر.

وعادني ملاكي بعد ثوينة... بملمحٍ غاضبٍ ونورٍ حزينٍ، يُقنعني بأن أُقلع عن الرغبةِ في مراسلة الماضي، وأن أتفرغ لما ينتظرنيَ من واقعٍ جديدٍ.

من غير معاناةٍ تفهمت وازعَ طلبهِ الغريبِ.... رسالتي رُدّت إليَّ لكونها لم تجد نبضًا لقلبٍ يتذكرني.
ربما انتقلتِ لنتعانقَ..... وربما انتقل قلبكِ ليُعانق آخر....
إني أنتظر.....
(اكتبي معي نهايةً لا تنتهي.... حتى لا ننتهي).
وللحديثِ بقيةٌ.. ما دامت للقلب هويةٌ.
 # كوني_دائمًا_بخيرٍ